

## خصائص التعليم العام في الوطن العربي ودوره في مواجهة التحدي الإسرائيلي\*

إن الحقيقة الأساسية التي تقوم عليها هذه الدراسة ، هي أننا نواجه تحدياً شرساً ليس على المستوى العسكري وحده ، وإنما على المستوى الحضارى ، وما الناحية العسكرية إلا أحد جوانبه ، وإنما لا نواجه دولة واحدة ، وإنما مجموعة من القوى الاستعمارية الشرسة التي تتخفى وراء هذه الدولة وتمدها بكل مقومات الوجود واستمرار الوجود ، لذلك فإن الوسيلة الرئيسية لمواجهة هذا التحدي ، إنما هي بناء قوة ذاتية قادرة على إفراز قدرة عسكرية تستطيع التغلب على هذا التحدي وتكون لها ركائزها الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية .

ومن هنا فإن دراستنا لدور التعليم العام في الوطن العربي في مواجهة التحدي الإسرائيلي انصبّت على دراسة الخصائص والأهداف التي يجب أن تتوافر في هذا التعليم حتى يستطيع بالفعل أن يمد المجتمع العربي بالمادة الأولية الحقيقية التي تقبل التحدي وتتجاوزه ، ألا وهي الإنسان العربي الجديد المنشود . من أجل هذا انقسمت الدراسة إلى قسمين :

أولاً : التعليم والتحدى ، ويشمل الموضوعات التالية :

- لماذا يجب على التعليم أن يقوم بدور فعال لمواجهة التحدي الإسرائيلي ؟
- مكانة التعليم في المجتمع الإسرائيلي .
- استخدام إسرائيل التعليم لقهر العرب .
- حاجتنا إلى سياسة تربوية عربية عامة لمواجهة إسرائيل .

ثانياً : دور التعليم العام في الوطن العربي ، ويشمل القضايا التالية :

- العقيدة الدينية .
- القومية .
- التنمية .
- العلمية .
- الديمقراطية .

\* دراسة قدمت إلى مؤتمر الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي التي عقدها قسم أصول التربية كلية التربية بجامعة الكويت  
علم ١٩٨٥ .

## ١- لماذا يجب على التعليم أن يقوم

### بدور فعال لمواجهة التحدى الإسرائيلي ؟

تؤدى فكرة التحدى والاستجابة دورا رئيسيا فى تصوير بعض المؤرخين للتطور الحضارى ، وفى تفسير أحداث التاريخ واستخلاص نتائجها وعبرها ، ، وهى التى يستند إليها فى إلقاء الضوء على العلاقات الدولية ، وأخيرا فى تبيان وجهة نظر هذا النفر بشأن طابع الحضارة الغربية بخاصة ، وبمستقبل الإنسان بصفة عامة .<sup>(١)</sup>

ويؤمن هذا النفر بأن المادة وحدها لا تكفى على الإطلاق لتفسير أحداث التاريخ ، كما أن الروحانية وحدها لا تفسر التاريخ وأحداثه تفسيراً مقنعا ، وذلك لأن الإنسان يستمتع بحرية منحها الله تعالى له ، ولكنها حرية جزئية ، وبفضل حرية الإنسان - مع إرشاده تعالى - يتحقق للإنسانية التقدم والارتقاء .

ولم يكن توينبى الوحيد فى مجال تطبيق فكرة التحدى والاستجابة فى الدراسات العلمية ، فقد اقتنص هيجل الفكرة كذلك ، وأنشأ منها نظرية فى منطق الجدل ، وهى عماد المذهب الماركسى ، إذ استقى منها ماركس ومريدوه أفكارهم عن المادية الجدلية ، والمادية التاريخية ، وتناقضات النظام الرأسمالى ، والصراع الطبقي ، وقيام الدولة ..... الخ . كما استخدم " مالثوس " الاقتصادى الإنجليزى فكرة التحدى والاستجابة فى تشييد نظرية عن " التناحر على البقاء " وعن طريق نظرية مالثوس ، كشف دارون عن نظريته فى التطور<sup>(٢)</sup> .

من منطلق منطق ( التحدى والاستجابة ) إذن ، نحاول فى هذا البحث أن نكشف عن الدور الذى يمكن فيه للتعليم فى البلدان العربية - بخصائصه ومقوماته وامكاناته - أن يقوم به لمواجهة التحدى الإسرائيلى . ولا شك فى أن السؤال الأول الذى يتبادر إلى الذهن هو : لماذا يجب على التعليم بالذات أن يلعب هذا الدور الفعال فى هذه المواجهة التاريخية ؟ هذا هو ما نحاول الإجابة عنه .

فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، على وجه التقريب اجتاحت الوطن العربى موجة غامرة من الوعى الاجتماعى أحدثت أثرا بالغا فى جميع نواحيه : فلقد استفادت شعوب تطالب

(١) فواد محمد شبل : منهج توينبى التاريخى ، سلسلة المكتبة الثقافية ، ٢٠٩ ( القاهرة : دار الكتب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٨ ) ، ص ٤١ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٤٢ .

بحقها في الحياة كاملاً ، وتجلت يقظتها تلك في سعيها إلى تحقيق أمانيتها وتقرير مصيرها ، وفي اعزازها بتراتها الروحي والعلمي . ففي الحقل الدولي تجلّى هذا الوعي في تطلع شعوب العالم إلى تبوء مكانة بين دول العالم تتناسب وترائهم العظيم وموقع بلادهم الجغرافي المرموق ، وفي مطالبتهن الملحة بنظام يحدد علاقات الدول بعضها ببعض على أسس من العدالة والمساواة .

أما في الحقل الداخلي ، فقد أخذت آثار هذا الوعي الاجتماعي الشامل تظهر جلياً في كل بلد عربي وذلك في تبرم أبنائه بأوضاعهم الحاضرة وفي المطالبة بالتفاهم والتكاتف بين البلدان العربية كافة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال برامج علمية عملية فعالة تقضى على مظاهر التخلف الاقتصادي والثقافي والاجتماعي وتتيح لكل فرد من أفراد الأمة فرصة للعمل المثمر وللحياة الحرة الكريمة<sup>(٣)</sup>.

ومع الأسف الشديد ، ففي الوقت نفسه ، كانت هناك قوى الغدر الاستعمارية ترقب الموقف وتحتاط له ، وتخطط لضرب أي حركة من شأنها أن تضع المجتمع العربي على طريق التحرر والتقدم ، فكان الابتلاء بالاحتلال الإسرائيلي .

وكرر فعل طبيعي لهذه النكبة ، أخذ الجميع يفتشون عن الأسباب التي أدت بنا إلى أن نخفق هذا الإخفاق المزمى ، وسيفت أسباب عدة ، وأبرزت عوامل شتى ، لكن هذه الأسباب ، وهذه العوامل على اختلافها وتعددتها ، كانت كلها تتفق في الشكل العام وفي المنحى الرئيسي ، كانت كلها تقول أن معركتنا مع إسرائيل معركة ( حضارية ) ، معركة مع الغرب المتقدم القوى ... ، هل كنا محتاجين إلى دليل قوى يثبت لنا أن إسرائيل هي الغرب وأمريكا ؟ إن المجال ليضيق لو حاولنا أن نستشهد بمئات إن لم يكن بالآلاف من الأدلة التي تبرهن على ذلك .

وكخطوة منطقية في التفكير ، كان لابد من أن يجتهد المخلصون في رسم أقوى الطرق لتجاوز هذا التحدي الذي يودي تجاهله بالشعوب ، فسنة التاريخ أن البقاء للأصلح ... ولم يكن التفكير في هذا الشأن عسيراً ، إذ أن الطريق واضح والسبيل بَيّن ، إنه الأخذ بأسباب المدنية الحديثة ... فعندما نمعن النظر في أحوال البلاد العربية كلها بنظمها الاجتماعية المتعددة ، وبمواقعها المختلفة قريباً من ، أو بعداً عن خط النار ، نجد أنها محتاجة كلها ، بدرجات متفاوتة طبعاً ، إلى شيء أساسي هو : أن تكون " دولاً عصرية " <sup>(٤)</sup>.

إن الدولة المحاربة في حد ذاتها هي الدولة التي تستطيع أن تصل ساعة الصدام إلى أقصى درجات التنظيم ، بحيث تستطيع أن تضع أكبر قدر من طاقتها بأقل قدر من الارتباك في

<sup>(٣)</sup> حبيب أمين كورناني : محاور ، محاضرات في نظم التربية في لبنان وسوريا والأردن والمراق ( بيروت : دائرة التربية بالجامعة الأمريكية ، ١٩٥٦ ) ، المقدمة .

<sup>(٤)</sup> أحمد بها ، الدين : إسرائيليات ، وما بعد الحولان ، سلسلة كتب الهلال ، ٢٠٠ ( القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٦٧ ) ص ٢٩٦ .

كفة القتال ، والطاقة على القتال هي الامتداد الطبيعي للطاقة الطبيعية لكل شعب : خصوصاً في الحرب الحديثة . لا يمكن أن نطلب من شعب اعتاد عدم التنظيم في حياته العادية أن ينقلب بين يوم وليلة إلى شعب مهيباً لقبول نظام صارم حاسم ... لا يمكن أن نطلب من شعب لا يعرف سوى حياته العادية قيمة الآلة وثمان الوقت ، أن يكتشف فجأة في ساحة القتال قيمة السلاح وثمان الدققة والثانية .

ومن الأوهام التي انتشرت بيننا جميعاً ونحن نسعى للحاق بالعصر الحديث وتحدياته ، أنه يكفي أن نشترى ( معدات ) العصر الحديث ... من آلات ومصانع وأدوات ، لكسى نصبح دولاً حديثة ومجتمعات حديثة . إنه لمن الأهمية بمكان أن نعرف الآن أن ( اقتناء ) هذه الأدوات ليس كل شيء ، فهناك قبل كل ذلك سؤال : " ماذا تقتنى ؟ وماذا لا تقتنى ؟ " ... ثم هناك قبل ذلك : أن تتحول الأدوات في الأيدي العربية إلى أدوات خالقة ، لا أدوات صماء .

" العصرية " إذن هي في الإنسان ، في العادات والتقاليد والأخلاقيات ، وفي تنظيم العمل ، وفي دفع ضريبة التنظيم العصري ... والتنظيم ليس معناه ، كما يفهم أحياناً من الكلمة ، حشد الناس في صفوف وطوابير ، بل معناه توزيع المسؤولية وتحديد الاختصاص ، على أن يكون العمل كله بعد ذلك في انسجام تلقائي . والتنظيم بذلك المعنى ليس بديلاً عن الأسلوب الديمقراطي في العمل ، فجزء من التنظيم الحي ، أن تنظم عملية التعبير عن الآراء وتلقى الخبرات لاستخلاص أسلم الآراء من مزيجها جميعاً ... دون أن يغفل هذا سرعة البت والحسم اللازمة في المجتمع المصري (٤) .

وهنا نصل إلى نقطة على الطريق جعلت الكثيرين منا يصابون بالدوار إن لم نقل باليأس العظيم لقد أبصرنا طريقاً طويلاً لا يمكن إدراك نهايته إلا بعد سنوات طويلة ، أفليس الأمر في التحليل النهائي هو أمر تغيير حضاري ؟ أليس الأمر هو أمر بناء مجتمع جديد ؟ وهل يمكن أن يبنى مجتمع جديد في سنوات قليلة ؟ إن العدو لم يكن بالباب كما كنا نقول سابقاً ، ولكنه قد اقتحمه وأصبح داخل البيت ، فهل نطوق على ذلك صبراً ؟

ثم إذ بنا ندخل مناهة كبيرة ، إذ ظهرت آراء تقول : بل أننا لن نستطيع مثل هذا التغيير إلا إذا طردنا هذا العدو لأنه سيظل يمتص قوتنا ويستقطب جهودنا ، مما لن يبقى معه شيء لبناء الدولة العصرية المنشودة ، وهكذا ازداد الأمر تعقيداً ، وكأننا نقف أمام المعضلة القديمة المشهورة : البيضة أم الدجاجة ؟ هل لابد من بناء الدولة العصرية حتى يمكن أن نطرد العدو ، أم لابد من طرد العدو حتى يمكن أن نبني الدولة العصرية (٥) ؟

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٩٩ .

(٥) سعيد إسماعيل على : التربية اليهودية الصهيونية ( القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٤ ) ، ص ٤ .

لقد كان هذا هو اتجاه الحوار والنقاش بعد نكبة ١٩٦٧ بالذات ، حتى إذا تحقق النصر الجزئى المذهل عام ١٩٧٣ ، زادت المشكلة تعقيداً فقد برز السؤال الخطير : إذا كانت التربية تقوم على مُسلمة مهمة وهى وحدة المجتمع وترباط عناصره العضوية ، فكيف تسنى لعنصر من عناصر المجتمع - وهو الجيش - أن يحرز هذا الانتصار المذهل ، وبقيّة العناصر على ما هى عليه ، تقريبا ، من عيوب خطيرة وثغرات مميّنة ؟ بمعنى آخر : إذا كان الجيش بالنسبة لأى فئة فى المجتمع - نتاج تربية هذا المجتمع ، ونحن نعرف ، ونقر بذلك ونعترف ، أن نمط هذه التربية - واقعيًا - متخلف ومهلل ، فكيف إذن استطاع أن يفعل ما يفعله ؟

وتأتينا الإجابة من داخل الجيش نفسه ، لكنها تزيدنا حيرة ، فهى تبين لنا أن ما كان يجرى داخل الجيش ، كان مختلفا تماما عما كان يجرى فى الوعاء الأكبر ، فى المجتمع : هناك تخطيط وتديبر وجديّة وأقصى درجات التطور وأعلى مراتب التعلم والتدريب وأرفع درجات الذكاء وأحسن وسائل التربية والتنقيف (٧) ...

إن : أين يمكن أن تقف التربية لتلعب دورها فى معركة التحدى الحضارى مع إسرائيل ؟ فى ظل هذا المنطق ، لا مكان لها ولا دور ، ما دام الجيش قد استطاع أن يتكفل بهزيمة العدو .

نتيجة صحيحة أوصلتنا إليها المقدمات السابقة .

لكننا كمربين ، لا نستطيع أن نرضخ لهذه النتيجة ، لا بدافع من الاعتزاز بالنفس فقط ، ولا رغبة فى أن يكون لنا شأن فقط ... نحن نرفض هذه النتيجة لأنها لا تتفق ومنطق التاريخ ، بل أنها لا تتفق مع منطق التربية نفسها إذ أن قبولها يعنى عدم التربية وفناءها . وهذا هو المستحيل بعينه ، إذن لا بد من مراجعة المقدمات ، فلربما أخطأنا السياق ، ولربما لم نبصر وجه الحق كله . ألم نقل أن المواجهة مع إسرائيل ، إنما هى مواجهة حضارية ؟ أوليست المواجهة الحضارية تعنى أن تدخل كل جزئية من حياتنا فى معركة مع كل جزئية فى حياة إسرائيل ؟ فهل تم هذا فى تشرين الأول / أكتوبر عام ١٩٧٣ ؟ إننا لا نقلل من شأن ما حدث ، بل أننا لا نستطيع ذلك ، وإنما لا بد أن نقول ، إنها كانت مجرد جولة من سلسلة طويلة من الجولات لا بد منها حتى تنتهى المواجهة كلية . فكما شاع القول عقب هزيمة ١٩٦٧ أننا لم نخسر الحرب ، وإنما خسرننا معركة ، فكذلك لا بد من القول بعد تشرين الأول / أكتوبر عام ١٩٧٣ ، وملاحح البطولة الفلسطينية على الأرض اللبنانية ١٩٨٢ : إننا لم نكسب الحرب وإنما كسبنا معركة .

(٧) انطوان زحلان : العلم والتعليم المالى فى إسرائيل ، ترجمة محمد صلح العالم ، ( القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٦٩ ) ، ص ٦ .

الحرب إن لم تنته ، والمواجهة إن قائمة ، والطريق إن مازال طويلا . ومن هنا فإذا كان ( الجيش ) قد كسب المعركة ، فإن القضية الأساسية هنا أن ( المجتمع العربي ) لن يكسب ( الحرب ) إلا بتغيير نمط حياته وأسلوب تربيته .

ومن جهة أخرى فإن منطق البحث العلمي ، يتطلب من الإنسان ، إذ أراد أن يتصدى لمشكلة ما أن يدرسها ويعرف أبعادها المختلفة ، وبعدها يمكن أن يفكر في حل لها ، وما دام الأمر كذلك فإن مواجهتنا للتحدي الصهيوني تتطلب منا دراسة الصهيونية ، ومعرفة المجتمع الإسرائيلي الذي تتجسد فيه كل دعاوى الصهيونية حتى يمكن أن نحسن المواجهة .

## ٢- مكاتبة التعليم في المجتمع الإسرائيلي .

إذا كان من الطبيعي بالنسبة لأي مجتمع أن يحشد كل ما يستطيع من جهد حتى يمكنه الاستفادة من كل ما يملكه من طاقات وموارد ، فإن هذه الحاجة تشتد أكثر ، إلى الدرجة التي تصبح عندها قضية حياة أو موت ، بالنسبة لتلك المجتمعات محدودة الموارد والطاقات ، وهو الأمر الذي ينطبق على إسرائيل بصورة واضحة ، إذ نجد هنا أننا بإزاء دولة محدودة الموارد إلى الدرجة التي لا بد عندها من وجود قوى بشرية منظمة ، تقف على رأسها قيادة على مستوى عال من الكفاءة ، تعمل بهدى ما تقوم به الجامعات ، ومراكز البحث العلمي الأخرى ، من أبحاث ، حتى يمكن لهذه القيادة أن تطمئن - ويطمئن معها الناس - إلى أن ما اتخذته من قرارات سواء في المجال السياسي أم العسكري أم الاقتصادي أم غيره كانت قرارات يتوافر لها قدر كبير من الصحة والسلامة وحسن التقدير <sup>(٨)</sup> .

وإذ نصل إلى هذه المقدمات ، فإن النتيجة الحتمية ، هي أن تركز إسرائيل على الاهتمام بالتربية والتعليم بجوانبها المختلفة كوسيلة أساسية لحسن استغلال الموارد المحدودة عن طريق قوة بشرية منظمة وقيادات ذات كفاءة عالية .

وإذا كان قيام الأسرة بدورها في عملية التنشئة الاجتماعية في إسرائيل يعترضه العديد من العقبات التي ترجع أساساً إلى اختلاف أصول الأسر النازحة إلى إسرائيل ، فإنه لمن المنطقي أن تحاول الحركة الصهيونية تعويض ذلك القصور بتركيز قدر أكبر من اهتمامها على الدور الذي تلعبه سائر المؤسسات التعليمية في التنشئة الاجتماعية باعتبار أن تلك المؤسسات أقرب منالاً من حيث إمكانية توجيهها والإشراف عليها من الأسرة ، كما أنها يمكن أن تضمن بين جنباؤها خليطاً من أطفال وشباب تلك الأسر المتفطرة الأصول ، بحيث يمكن أن تصبح

(٨) على : المصدر نفسه ، ص ١٠ .

كيوتقة ينصهر فيها الجميع لينشأ فيها ذلك التكوين السيكولوجى المأمول<sup>(٩)</sup> . إن ذلك التكوين الموحد هو الشرط الأول ، والقاعدة الرئيسية التى يمكن من خلالها الانطلاق بعد ذلك لحسن استغلال الموارد .

ولعل خير تعبير عن أهمية دور تلك المؤسسات فى إسرائيل هو تلك العبارة ، أو بالأحرى ذلك الشعار الذى أورده العالم الفرنسى جوزيف كاتزمان مستشار معهد التنمية الصناعية والاجتماعية فى فرنسا فى كتابة الدروس المستفادة من التجربة الإسرائيلية حيث يقول : " قد تعد الدبابات السنثوريون عامل أمن للمستقبل القريب ، ولكن بالنسبة للمستقبل الأبعد ، فإن المدرسة والجامعة تمثلان عوامل للأمن الأكثر أهمية بكثير من ذلك " . ويقول العالم الفرنسى الجنسية اليهودى الديانة ( جورج فريدمان ) ، مدير مركز دراسة وسائل الاتصال الجماهيرى التابع لجامعة السوربون ، والذى سبق له أن شغل منصب رئيس الرابطة الدولية للعلوم الاجتماعية ، يقول فريدمان فى كتابه المعنون أهى نهاية للشعب اليهودى ؟ : " من الواضح أن الحل الوحيد لمشكلات الجانب الأخر فى إسرائيل ( يعنى الإسرائيليين الشرقيين ) هو التعليم بأوسع ما يعنيه الاصطلاح ، وبحيث يمتد إلى التأثير فى الأسرة ، ولسوء الحظ ، فإن المنجزات الإسرائيلية فى مجال التعليم القومى - رغم ما تحظى به مشكلاتها حالياً من اهتمام بالغ واعتمادات مالية - تعد أقل بكثير من المنجزات الإسرائيلية فى الزراعة أو الصناعة أو الأمن القومى " . ثم لا يلبث أن يدعو إلى حملة قومية فى الصحف الإسرائيلية تحت شعار " أليس التعليم أمنا قوميا أيضا ؟ " (١٠) .

ومن هنا كانت الانتقادات المتعددة الحكومة الإسرائيلية فى الكنيست رغم ما نعرفه من جهودها الكثيره فى هذا المجال ، إذ أن هناك رغبة دائمة فى المزيد من التعليم ، وفى جلسة الأربعاء ٢٦ تشرين الأول / أكتوبر سنة ١٩٦٦ وقف (أستر رزينيل) من (جاحال) ليقول<sup>(١١)</sup> . " من الواجب علينا أن نذكر قيمة التعليم وأهميته ، ليس فقط بالنسبة إلى الطلبة الذين يتعلمون فيه ، ولا بالنسبة للمؤسسات التى يتعلم فيها هؤلاء الطلبة ، ولكن بالنسبة إلى الدولة والشعب . وفى هذه الفترة التى نعيش فيها ، والتى نجد فيها الإنسان يشق الفضاء ليحاول الوصول إلى القمر ، أو ينزل إلى الأعماق لإجراء أبحاث مختلفة فى جميع فروع العلم والثقافة ، أكثر من أى وقت مضى يعتمد قيام الدولة على تلك الأمور فقط . وإذا أرادت إسرائيل المحافظة

(٩) كبرى حنى : تجسيد الوهم : دراسة سيكولوجية للشخصية الإسرائيلية ( القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية

بالأهرام ، ١٩٧١ ) ، ص ١٥١ .

(١٠) للمصدر نفسه : ص ١٥٢ .

(١١) مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ، محاضر الكنيست ، (الأهرام : [ المركز ] ، ١٩٧١ ) ، ص ٩٦ .

على مكانها - بصفته الزعيمة الروحية للشعب الإسرائيلي كله - وعلى موثقه من فريسي  
الحضارة ، من الواجب علينا أن نبحث مشكلات التعليم العالي والبحث والتعليم والقيم الروحية \*

والوعى بأهمية التعليم وضرورته للدولة يقتضى أيضا توافر الوعى بأن المسألة لا  
يمكن أن تقف عند حد الأرقام ، بحيث تعالج مسائل التعليم كما تعالج البضائع والسلع المختلفة ،  
وهذا ما نبه إليه " أروى أفيرى " من ( هاغولام هازية ) وحذر منه <sup>(١٢)</sup>.

وإذ يحتل التعليم هذه المكانة وذلك الموقع ، فلا بد أن تفرع الحكومة من تهمة إهمال  
التعليم ، يعبر عن ذلك قول وزير المعارف والثقافة فى الجملة نفسها : " إن التعليم من أهم  
أهداف الدولة " وكذلك قوله : " أعرف انه بعد ميزانية الدفاع ، تعتبر ميزانية المعارف والثقافة  
من أكبر الميزانيات فى الدولة " <sup>(١٣)</sup> .

وفى المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين ، شبه " شمعون افيزيمر " - من إسرائيل ،  
حركة العمل - العلاقة بين الحركة الصهيونية وبين التربية ، بالعلاقة بين " الشكل "  
و" المضمون " ، فالحركة الصهيونية بجميع مؤسساتها ، وأقسام الوكالة الصهيونية ، هى الإطار  
أولاً وأخيراً ، وأما التربية فهى الروح ، وهى الجوهر . " وبالطبع فإن التربية دون إطار ،  
ستكون تصميمًا دون شكل ودون مقاييس ودون حدود ، وأما الإطار بغير مضمون وبغير تربية  
تليق به ، فهو إطار لا شكل له ولا منظر " <sup>(١٤)</sup> .

### ٣- استخدام إسرائيل ، التعليم ، لقهـر العرب .

يمكن تلخيص جوهر الأيدلوجية الصهيونية ، فى النظرية والتطبيق ، على أنها  
استيراد الأفكار الدينية ونقلها من مجالها الدينى إلى مجالها السياسى ، وهو نقل فى الأفكار ينتج  
عنه فى الممارسة نقل ديمغرافى : نقل اليهود من المنفى إلى أرض الميعاد ، ونقل العرب من  
أرض الميعاد إلى أرض المنفى . ولتسوية عملية نقل اليهود هذه ، قام الصهاينة بنقد الشخصية  
اليهودية فى المنفى ( بوصفها ممثلة للماضى الذى يتمردون عليه ) ثم طرحوا تصورا لليهودى  
الخالص الذى سيحل محل يهودى المنفى ( بوصفه ممثلاً للمستقبل المؤمل فيه ) . وبالنسبة  
لعملية النقل الديموغرافى الثانية ، فتمه انتقاد للشخصية العربية أيضا ، وثمة تصور للعربى فى

<sup>(١٢)</sup> المصدر نفسه : ص ١٠٥ .

<sup>(١٣)</sup> المصدر نفسه : ص ١٠٥ .

<sup>(١٤)</sup> مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية ، المؤتمر الصهيونى السابع والثرون ( القاهرة : [ المركز ] ١٩٧١ ، ج ٢ ،

المستقبل ، ولقد ركز الصهاينة على انتقاد الشخصية العربية فحسب ، ومن النادر أن نجد فى الكتابات الصهيونية طرحاً لتصور الشخصية العربية فى المستقبل . والصهيونية تتعامل مع الإنسان العربى فى عدة مستويات ، تتسم كلها بأنها " تجرد " الإنسان العربى من وجوده المتعين تجريداً متزايداً حتى يختفى كلية ، ويتحول من العربى المتخلف إلى العربى الغائب (١٥) .

ومن هنا مثلت الثقافة العربية أحد المواقع الاستراتيجية التى نتجه إليها السياسة الإسرائيلية فى تطبيقها لمبدأ الاستيعاب من خلال الدوائر المتخصصة فى الشؤون العربية الموجودة فى مختلف المؤسسات الإسرائيلية ، ونظراً لما تقوم به الثقافة العربية من دور بارز فى حفظ مقومات الشخصية العربية القومية (١٦) . فالثقافة العربية تعنى السمات الروحية والعاطفية والمادية والفكرية للمجتمع العربى ، وهى تركز على التراث العربى بمقوماته وخصائصه ، وفى إطاره تتشكل الشخصية العربية ليصبح محتوى هذه الشخصية ومضمونها ، وبدونه يتعذر استمرار هذه الشخصية بخصائصها ومقوماتها المتميزة . والثقافة العربية بهذا التحديد تمثل جبهة لا بد للسياسة الإسرائيلية اختراقها إذ أريد للأهداف الصهيونية أن ترى النور ، ويمكن ذلك الاختراق من خلال تقويض أركان هذه الثقافة .

ولذلك نرى القيادة الإسرائيلية وهى تتعامل مع المواطن العربى القلطينى فى الأرض المحتلة تتجه إلى البيئة العربية كجزء من التراث ، وتتجه إلى تلك القنوات التى تنتقل عبرها الثقافة العربية من جيل إلى جيل ، فتقوم سياستها فى مواجهة البيئة العربية إلى طمس المعالم العربية ، وتعتمد إزاء الجوانب الأخرى من التراث العربى إلى التجهيل من جهة ، وتشويه الحقائق من جهة أخرى ، وتقابل ذلك عملية تضخيم لصورة إسرائيل لتكون الصورة التى لا يبدل عنها تستخدم إسرائيل جميع الأدوات والوسائل التى تمكنها من ذلك (١٧) .

وفى سبيل ذلك عمدت سلطات الاحتلال العسكرى الإسرائيلى إلى العمل على تغيير الأوضاع المادية والمعنوية فى شتى مرافق الحياة فى الأرض المحتلة فى أعقاب عدوان ٥ حزيران / يونيو ١٩٦٧ . ومن أكثر المرافق أهمية وحيوية وأثراً على المدى القريب والبعيد ، التعليم ، حيث قامت سلطات الاحتلال بإلغاء العديد من الكتب ومواد الدراسة ، وتغيير المناهج وتحريفها ، من قبل الدولة صاحبة السيادة الشرعية .

(١٥) عبد الوهاب المسيرى : الأيدلوجية الصهيونية : دراسة حلقه فى علم اجتماع المعرفة ، سلسلة عالم المعرفة ، ٦٠ ، ( الكويت : المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٢ ) ص ٢٩٥ .

(١٦) عطا محمد صالح زهرة : " الثقافة العربية والتحدى الصهيونى فى الأرض المحتلة " ، شؤون عربية ، العدد ٢٣-٢٤

( تشرين الثانى / نوفمبر - كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٢ ) ، ص ١٤٨ .

(١٧) المصدر نفسه ص ١٤٩ .

وقد وجد في الأراضي المحتلة ثلاثة أنواع من المدارس العربية ، وذلك تبعا لمسئولية تمويلها المالي والإشراف على إدارتها ليس إلا ، إلا أنها جميعا تطبق مناهج دراسية ونظم امتحانات واحدة من قبل وزارات التربية والتعليم في الدولة صاحبة السيادة . وهذه الأنواع هي <sup>(١٨)</sup> :

أ. المدارس الحكومية .

ب. المدارس التابعة لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين واليونسكو .

ت. المدارس الخاصة وهي التي تقوم بإدولتها وتمويلها هيئات وجمعيات أو أفراد .

ومع ذلك حاولت سلطات الاحتلال الإسرائيلي استغلال هذه الظاهرة في تعدد المدارس على هذا النحو ليكون مدخلا لها لمعاملة كل نوع على حدة وتجزئ مناهج الدراسة ، فحاولت فعلا أن تفرض على مدارس الوكالة منهجا خاصا يختلف عن ذلك الذي يدرس في المدارس الحكومية ، كما حاولت ان تفعل الشيء نفسه مع المدارس الخاصة .

ولا شك أن هذه الإجراءات - وغيرها بطبيعة الحال - يخالف مخالفة صريحة جميع المواثيق الدولية ، وعلى سبيل المثال فإنه مخالف لما ورد في الفقرة (ج) من المادة السادسة والعشرين في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان التي تنص :

" للأباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم "

كما أنها مخالفة لنص الفقرة (٣) من المادة (١٣) من الاتفاقية الخاصة بالحقوق

الدولية الخاصة بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي نصها :

" تتعهد الدول الأطراف في الاتفاقية الحالية باحترام حرية الأباء والأوصياء القانونيين ،

عندما يكون ذلك ممكنا ، في اختيار ما يروونه من مدارس لأطفالهم غير تلك المؤسسة من السلطات العامة ، مما يتمشى مع الحد الأدنى للمستويات التعليمية التي قد تضعها الدولة أو توافق عليها وفي أن يؤمنوا لأطفالهم التعليم الديني والأخلاقي الذي يتمشى مع معتقداتهم الخاصة " <sup>(١٩)</sup> .

لكن ما هي المفاهيم الاتجاهات التي حرصت سلطات الاحتلال على تضمينها في

مناهج التعليم في الأرض المحتلة ؟ هذا هو ما سنحاول الإشارة إليه بإيجاز فيما يلي <sup>(٢٠)</sup> :

<sup>(١٨)</sup> جامعة الدول العربية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، أحوال التربية والتعليم في الأراضي المحتلة ( القاهرة : [ المنظمة ]

، ١٩٧١ ) ص ٩٤ .

<sup>(١٩)</sup> المصدر نفسه : ص ٩٦ .

<sup>(٢٠)</sup> نجلاء نصير بشور : تشويه التعليم العربي في فلسطين المحتلة ( بيروت : مركز الأبحاث الفلسطيني ، ١٩٧١ ) ص ١٤٤ .

## أ- اليهود كشعب ودولة :

إن " الشعب " اليهودى كان ولا يزال " أمة ذات كيان " لها كل صفات الأمة وحقوقها . فمن جذور قديمة وحضارة عريقة تفاعلت مع الحضارات السابقة وأفادتتها ، إلى تفسخ فى وقت كانت فيه أكثر دول العالم الحديث غير موجودة ، لتبعث لختها ( إحدى صفات الأمة ) فى فترة نشوء وانتعاش القوميات الأوروبية فتأتى جزءاً من تيار عالمى فى ذلك العصر . أما ارتباطها بالأرض فهو إحدى الصفات الأساسية للأمة أيضاً ، فماذا يشكل الدولة ؟ الشعب والأرض .

لذا يأتى هرتزل بالطريقة التى صورتها الكتب كنزوة للحركة القومية اليهودية التى تتوق إلى استقلال أرض صهيون . فالحركة الصهيونية إذن ، حركة استقلالية كانت نتيجة طبيعية للحركة القومية اليهودية التى نشأت بدورها ضمن تيار جارف لحركات قومية فى أوروبا ، مهد النهضة الحضارية الحديثة .

أما الدولة ، فهى حصيلة حرب " استقلال " كانت لليهود منذ القدم وحنوا إليها طوال سنين البعاد حتى استطاعوا تنظيم أنفسهم ليحصلوا عليها ، بقيادة الحركة الصهيونية <sup>(١١)</sup> .

الدولة إذن ، هى واقع لا مفر منه ، فهى أولاً : تسير مع اتجاه التاريخ وليس بعكسه ، فالدول تسير فى اتجاه نيل الاستقلال ، على الأقل السياسى ، ، وثانياً هى : دولة قائمة لها مؤسساتها ولها تاريخها الآن .

وغير الوجود الذى لا جدال فيه ، فاليهود كشعب وكدولة متفوقون ، فالشعب اليهودى متفوق ، متفوق بصموده ضد كل دخيل على استقلاله وحضارته ودينه ، وبذكاؤه فى التجارة والأدب والفن والسياسة ، تفوق على من عاشروهم من الشعوب لا سيما أبناء عمه العرب ، أما دولتهم ، فهى تتفوق على غيرها فى شئ مهم جداً وهو ديموقراطيتها ، وعلى العرب بتقدمها .

ب- العرب :

(١) خارج الدولة : أما الحقائق عن العرب ، فتاريخهم يعطى صورة تبرز فيها الفتن والخلافات على أنواعها : الشخصية والعائلية والقبلية والطائفية ، وهى غالباً ما تؤدى إلى معارك طاحنة بين الفئات المتخالفة . ومن هنا تبرز حكايات القتل والنهب والأعمال اللاأخلاقية . أما حضارتهم فمقتبسة . وهم " شعوب " ممزقة لا يوحدتها شئ ، بل وحتى المحاولات الوحودية فى تاريخهم الحديث كانت فاشلة ولا تعطى مثلاً للوحدة العربية المأمولة ، وحتى لا تعطى دروساً سوى استحالتها وعدم فائدتها للعرب . وبلادهم لا ثروة فيها ولا يطمع فيها أحد . وثوراتهم ضد المستعمر تكاد لا تذكر ، فهم شعب لا يحارب إلا نفسه ، ولا يحارب أعداءه ،

(١١) المصدر نفسه : ص ١٤٥ .

خنوع يرضى بالاستغلال والاستعمار ، وهو ليس مثل ابن عمه الشعب اليهودي صلماً متقوقاً<sup>(٢٢)</sup>.

(٢) داخل الدولة : أما داخل الدولة ، فالعرب لا يشكلون " القومية الأخرى " فى الدولة ، فالتقسيم للناس كقنات يتم على أساس الأديان وليس على أساس القوميات ، فليس هناك تناقض بين العرب واليهود وإنما هناك وجود لقنات دينية مختلفة ، هناك يهود - سفارديم واشكانزيم ، مسلمون - سنة وشيعة وأحمدية وإسماعيلية ودروز ، وهناك مسيحيون - بروتستانت ، وروم وكاثوليك وموارنة .

وفى هذه الدولة هناك ديمقراطية تامة ، فجميع هذه القنات تتعايش دون تناقض ، وتسمح الدولة بالتعامل على هذا الأساس .

هذه الحقائق كلها " تتكشف " للطالب العربى إذا ما اعتمد الكتب التى تحت البحث المصدر الوحيد لمعلوماته<sup>(٢٣)</sup> ...

وقد تعرضت المناهج المدرسية إلى تدخلات سلطات الاحتلال فى محاولة لتحريفها عن تحقيق الأهداف التربوية التى تربط الطلاب بترائهم الفكرى وحاجات مجتمعهم ، وذلك للوصول إلى أهداف التعليم نفسها المطبقة على الطلبة العرب فى الأراضى المحتلة عام ١٩٤٨ ، فى خلق جيل لا يرتبط بأرضه وتراثه وتضعف فيه روح المقاومة للاحتلال<sup>(٢٤)</sup> .

واختلفت الإجراءات الإسرائيلية من منطقة لأخرى فى الأراضى المحتلة لأمر اقتضتها استراتيجىة السياسة الصهيونية ومراحلها فى تهويد المناطق المحتلة ، وكانت النية لدى السلطات متجهة لتغيير المناهج فى الأراضى المحتلة كلها ، بحجة أن هذه المناهج " تزرع الكراهية فى نفوس اللاجئين " ، فقررت منع الكتب المدرسية التى تصدرها الأقطار العربية ( الأردنية والمصرية ) ، واستبدالها بتلك الكتب المستخدمة فى المدارس العربية فى إسرائيل ، إلا أن رد الفعل المحلية أجبرت السلطات الإسرائيلية على إرجاع المناهج العربية ( المصرية والأردنية ) إلى المناطق المحتلة - عدا القدس - وتشكيل لجان إسرائيلية تولت فحص الكتب الأصلية بعد استبدال أغلفتها وإدخال تعديلات ( من حذف وتحريف )<sup>(٢٥)</sup> تناولت كل ما يتعارض مع أهداف إسرائيل بدعوى أن فيها تهجماً على إسرائيل ، أو حثاً على مناصبتها العدا ،

(٢٢) المصدر نفسه .

(٢٣) المصدر نفسه : ص ١٤٦ .

(٢٤) جامعة الدول العربية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دراسة حول : الأوضاع التعليمية لأبناء فلسطين فى فلسطين فى

المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، [ تونس : المنظمة ] ، ١٩٧٨ ، ص ٦

(٢٥) المصدر نفسه :

أو غيرها من الدعاوى التي أخذت ذريعة لحذف مواضيع وفقرات وعبارات أفقدت الكتب روحها التربوي والقومي وعملت على التمهيد لقبول الوجود الإسرائيلي وطمس عروبة فلسطين ، وفصم العرى التي تربط الشباب الفلسطيني بوطنه عن طريق حذف كل ما يذكره بماضيه في كتب الاجتماعيات واللغة والدين الإسلامي ، ثم إضعاف روح المقاومة للاحتلال بحذف القصائد والعبارات ذات الطابع الوطني القومي في جميع الكتب (٢٦) .

أما في الكتب الموجهة إلى أبناء اليهود في المدارس الإسرائيلية ، فقد عمدت الصهيونية إلى بث الكثير من الأفكار المسمومة بلعل أخطرها تشويه صورة الأديان السماوية ، والأنبياء غير اليهود ، وعلى سبيل المثال (٢٧):

يبدأ الصهاينة في كتبهم المدرسية بالحط من قدر السيد المسيح ، والظعن في أخلاقياته واتهامه بما يحلو لهم من الصفات المشينة ، فقد جاء في كتاب الصف السابع من سلسلة كتب تاريخ شعب إسرائيل ( طبعة ١٩٧٢ ) : " في الحقيقة يجب أن نقول إن رسول المسيحيين هذا اتصف بقدرته على فعل العجائب فقد قام بعمله على ما يرام متحمساً ، مثيراً لقلوب سامعيه ، يعرف كيف يؤثر عليهم ، فمع اليهود سلك كيهودي ، فيردد دائما أنه لم يأت ليكفر بتوراة موسى ، بل جاء ليبشر بمجئ المسيح ، ولكن أمام الغرباء يذم اليهود ، ويقول انه مع مجيئه ألغيت تعاليم موسى ، واستبدل العهد القديم بالعهد الجديد ، ولكي بأسر قلوب عبدة الأصنام ، حررهم المسيح من كافة الوصايا العملية والمعتقدات ، والمبادئ اليهودية التي كانت اليهودية تطالب معتقيها باتباعها والعمل بها ، ولا سيما احترام السبت وغيره من التعاليم الأخرى " .

أما محمد رسول الله ( ﷺ ) فقد تناولته الكتب المدرسية بالكثير من الهجوم والتجريح له وللدين الإسلامي بالكلمة مرة وبالصورة مرة أخرى ، فيقولون عنه :

" أنه الفارق في أحلام اليقظة ، والمحارب ، ومبتدع الدين الجديد ، وأنه أحد أبناء قبيلة قريش الغنية ذات الجاه " . ويقولون في موضوع آخر : " قد عمد محمد إلى الهجوم على قوافل التجار التي اعتادت أن تسلك طريق مكة بغية سلبها وسرقتها " . ولكي يجتنب محمد اليهود إليه أمر اتباعه بأن يتوجهوا في صلاتهم نحو القدس بدل الكعبة ، وأن يصوموا يوم

(٢٦) دعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٧٤ إلى اجتماع لجنة خبراء لدراسة المناهج والكتب التعليمية المقررة على الطلاب العرب في الأراضي المحتلة ، وقامت اللجنة بدراسة الكتب المقررة وتحليل محتوياتها لتحديد النصوص والمفاهيم التي أشيعت بها سلطات الاحتلال الكتب المؤلفة للطلبة العرب في المنطقة المحتلة من فلسطين عام ١٩٤٨ والنصوص والمعاني التي حذفها أو حرضها في الكتب الأردنية والمصرية . أنظر : جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تقرير لجنة خبراء لدراسة المناهج والكتب التعليمية المقررة على الطلبة العرب في الأراضي المحتلة ، [ تونس : المنظمة ] ، ١٩٧٥ ) .

(٢٧) جامعة الدول العربية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دراسة حول الأوضاع التعليمية لأبناء فلسطين في المناطق

المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، ص ٧ .

الغفران ، ولكن بمرور الوقت ، وعندما جوبه بالسخرية من قبل اليهود ، وبعد أن أدرك أنهم يبعدون عنه ، غير موقفه تجاههم ، وأخذ يقسوا عليهم ، فألقى صدم يوم الغفران ، وحدد صوماً آخر يستمر شهراً ، كما حول القبلة من القدس إلى مكة \* (٢٩) .

واكثر من ذلك فهم يرسمون في الكتاب صورة لمحمد ( ﷺ ) يشتم الورد بيد ، ويقبض على السيف بيد أخرى ، ، كما يقدمون صورة لمسجد ، مع الجيش الإسلامي الذي يحارب ، وصورة لشعار إسلامي بمثابة سيفين وسطهما هلال ، ويعلق المؤلفان على الصورة بقولهما : " الإسلام دين المحاربين " . ويقول عن الدين الإسلامي : " كان خليطاً من الأديان المعروفة في ذلك الوقت " .

#### ٤- حاجتنا إلى سياسة تربوية عربية عامة لمواجهة إسرائيل .

إن هذه السياسات الاستعمارية التي تتبعها الدولة الصهيونية كصورة من صور التحدى السافر للإنسان العربي ، تتطلب فضلاً عن الوعي بها ودراستها - وهو ما حاولنا أن نقوم به بصورة مختصرة - تتطلب تحركاً إيجابياً على الصعيد نفسه ، أولاً للكشف عما في هذه السياسات من افتتات على الحقيقة والتاريخ ، وثانياً لتعرية الصهيونية بيانا لوجهها الاستعماري القبيح .

ولعل هذا يدعونا إلى التساؤل عما تملكه البلدان العربية من سياسة تربوية عربية عامة تتجه إلى خدمة الأهداف القومية التي في مقدمتها ما يتصل بالشعب الفلسطيني ، بخاصة وأن قوى الصهيونية والاستعمار والرأسمالية العالمية لا تتجه إلينا بخطتها وسياساتها منقودة ، وإنما دائماً مجتمعة أو متعاونة ومنسقة ، ولسنا في حاجة إلى القول ، بأن الجهد العربي الموحد اشد خطراً ، وأقرب إلى تحقيق الأهداف المطلوبة من اتخاذ مسارات انفرادية مهما تسلحت بصور الإيمان بالقضية والإخلاص لها قولاً وعملاً .

ويمكن القول بصورة عامة ، أن ما هو مدون في السياسات التربوية يبدو أوضح في دساتير الأقطار العربية نفسها وينعكس أحياناً في برامج وتشريعات على الحكومات على صور متفاوتة وعلى فترات متباعدة . ومن الطبيعي ان تقتصر الدساتير على الأهداف والأحكام العامة ، وأن تدع تحديد هذه الأهداف وتحديد المسارات الرئيسية لتحقيقها إلى القوانين والتشريعات وإلى برامج الحكومات . وكثيراً ما تأتي السياسات التربوية على هذا المستوى من القوانين والتشريعات والبرامج على خط من التعميم وبصورة متفرقة مجزأة غير متواصلة في مدتها

(٢٩) المصدر نفسه : ص ٤٢ .

ومداها ، ولما تنتظمها وثيقة تحيط بها ، بله أن تتميز بالشمول والتكامل ، فتحيط بميدان التربية القومية بتمامه وتحقق الترابط بين أجزائه وقطاعاته ، وينظر أن تنتقل من عرض الأهداف إلى تعيين سبل العمل ومساراته وتحديد الإجراءات الرئيسية لتحقيق تلك الأهداف ، ولا هى فى الغالب مما تتضح صلته بميادين النشاط الأخرى ، وبالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من حركة المجتمع ، مما ينبغى أن تتميز به السياسات العامة ليحقق لها الشمول والتكامل على مستوى مجتمعها (٣٠) .

ولكى نكون أكثر تحديداً، فلنتناول قضية مهمة من القضايا التربوية لنرى إلى أى حد وعلى أى وجه تسعى الأقطار العربية بالفعل إلى خدمة القضية الفلسطينية عن طريق التعليم . هذه القضية التربوية التى نعيها هى قضية المناهج . إن نقدنا للمناهج المطبقة على الطلبة الفلسطينيين فى الأقطار العربية ينطلق أساساً من مدى مساهمة هذه المناهج فى تكوين الإنسان العربى المؤمن بقضايا أمته وبأهدافها الإنسانية التقدمية ، والقادر على العمل من أجل تحقيق هذه الأهداف ، فبمقدار ما تخدم هذه المناهج قضية بناء مجتمعات عربية حرة وقوية ، فإنها تخدم بهذا المقدار ، قضية الشعب الفلسطينى ، وسنحاول فيما يلى بحث الطريقة التى عرضت بها القضية الفلسطينية فى مناهج ثلاثة أقطار عربية يقيم فيها أكثر من ثلثى الشعب الفلسطينى وهى الأردن ولبنان وسوريا ، استناداً إلى الدراسة التى أعدها قسم التخطيط التربوى فى مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٧٣ (٣١) .

وقد قام تحليل مناهج الاجتماعيات على أساس ثلاث مجموعات من المحاور ، تدور المجموعة الأولى حول توضيح طبيعة الصراع وتضم هذه المجموعة أربعة محاور : (أ) تحديد الهوية السياسية العنصرية للحركة الصهيونية ، (ب) المطامع الصهيونية التوسعية ، (ج) الربط بين مصالح الاستعمار والصهيونية ، (د) الإيمان بالوحدة العربية .

فإذا استقرأنا نتيجة دراسة المحور الأول المتعلق بتحديد الهوية السياسية العنصرية للحركة الصهيونية ، نجد أن كتاب التاريخ للصف الخامس الابتدائى فى لبنان لا يذكر كلمة صهيونية على الإطلاق وإنما يكتفى باستعمال كلمة يهود أو يهودى . أما الكتب الأردنية فهى لا تستعمل كلمة صهيونية إلا حين لا تجد مفراً من استعمالها ، أما حيث لا توجد هناك ضرورة ملحّة ، فيجرى استعمال كلمة يهود ويهودية ، ولا تبذل الكتب الأردنية أى جهد للتفريق بين اليهود والصهاينة . وعند الحديث عن الصهيونية تختلط الصهيونية ، كحركة سياسية ،

(٣٠) محمد أحمد الشريف وآخرون : استراتيجية تطوير التربية العربية (بيروت ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٩) ،

ص ١٧١ .

(٣١) نزيه قورة : تعليم الفلسطينيين ، الواقع والمشكلات (بيروت : مركز الأبحاث الفلسطينى ، ١٩٧٥) ، ص ١٠٥ .

باليهودية . ولا تخرج تفسيرات هذه الكتب للحركة الصهيونية عن التفسيرات الدينية المستندة إلى اقتباسات من التوراة ، أما الكتب السورية فتشدد في أكثر من مكان على تقديم تعريف سياسي عصري للصهيونية ، مع ربط هذه الحركة بالظروف السياسية والاقتصادية للبلدان التي نشأت فيها الحركة الصهيونية . كذلك تحاول الكتب السورية أن تبين الفرق بين الحركة الصهيونية وبين اليهود كمجموعة دينية .

أما محور المطامع الصهيونية التوسعية فنجد أن الإشارة إلى هذه المطامع مختصرة . وباستثناء فقرة واحدة في كتاب التربية للصف الثالث الإعدادي في سورية تشير إلى أن التوسع \* ليس حلما فحسب \* بل أنه ضرورة حتمية اقتصادية وضرورة بشرية لاستيعاب الملايين الذين تريد استقدامهم إليها \* . ولا نجد أى توسع في شرح المسألة (٢٢) .

وفيما يتعلق بمسألة الربط بين الصهيونية والاستعمار ، نجد أن الكتب اللبنانية لا تقيم أى رابطة بينهما ، كما أنها لا تذكر كلمة استعمار . أما الكتب الأردنية فإن الربط بين الاستعمار والصهيونية يجرى على الأساس التاريخي وحده دون ربط الماضي بالحاضر . وحتى عند ذكور العلاقة التاريخية بين الحركة الصهيونية وبريطانيا ، تقدم الكتب هذا التفسير بعد سبقه بكلمة " ولعل " بريطانيا اعتقدت أنها ستجد في صداقتها لليهود مبررا ووسيلة للتخلص من وعودها للشريف حسين في حرية البلاد العربية ووحدها واستقلالها " . ويوحى هذا الكلام بأن حرية البلاد العربية ووحدها واستقلالها أمر مرهون بالوعد البريطاني ، وأن المسألة أمام بريطانيا كانت تتلخص في الاختيار بين صداقة العرب أو صداقة اليهود (٢٣) .

أما في الكتب السورية فيحدد الارتباط بين الاستعمار والصهيونية على أساس أن إسرائيل " ليست في الواقع إلا ركيزة ورأس حرية يستخدمه عندما يشاء للحفاظ على مصالحه الكثيرة في المنطقة العربية ... ومن هنا كانت مقاومة العرب لإسرائيل متأومة للاستعمار في الوقت نفسه " . وفي أكثر من مجال يجرى توضيح هذه العلاقة والرد على الأفكار المغلوطة الشائعة . غير أن مسألة الوجود الاستعماري في المنطقة العربية لا يجرى بحثها بأسلوب معمق يتناول جوانب هذا الوجود الاقتصادية والثقافية والسياسية ، وتأثيره على المنطقة في أحداثها التي تجرى على سطحها .

(٢٢) المصدر نفسه : ص ١٠٧ .

(٢٣) المصدر نفسه :

## ثانيا : دور التعليم العام فى الوطن العربى .

إن الحقيقة الأساسية التى لن نمل تكرارها ، هى أننا نواجه تحديا شرسا ليس على المستوى العسكرى وحده ، وإنما على المستوى الحضارى ، وما الناحية العسكرية إلا أحد جوانبه ، وإنما لا نواجه دولة واحدة ، وإنما مجموعة من القوى الاستعمارية الشرسة التى تتخفى وراء هذه الدولة وتمدها بكل مقومات الوجود واستمرار الوجود ، ولذلك فإن الوسيلة الرئيسية لمواجهة التحدى إنما هى بناء قوة ذاتية تكون قادرة على إفراز مقدره عسكرية تستطيع التغلب على هذا التحدى وتكون لها ركائزها الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية .

ومن هنا فإن دراستنا لدور التعليم العام فى الوطن العربى فى مواجهة التحدى الإسرائيلى ، سوف تكون دراسة لخصائص وأهداف يجب أن تتوافر فى هذا التعليم ، حتى يستطيع بالفعل أن يمد المجتمع العربى بالمادة الأولية الحقيقة التى تقبل التحدى وتتجاوزها ، ألا وهى الإنسان العربى الجديد المنشود ، ذلك الإنسان الذى يستطيع أن يميز بين الأصدقاء والأعداء ، والذى يعمر الإيمان بالله قلبه ، والذى يتسلح بعلوم العصر والذى لا يكف عن العمل والإنتاج ، والذى لا يكتفى بان يقف ليقول للناس : كان أبائى كذا وكذا ، وإنما يقف ليقول : ها أنا ذا (٢٤) ...

فما هى إذن أهم تلك الخصائص والأهداف ؟ هذا هو ما سنحاول بيانه فيما يلى من صفحات ...

### ١- العقيدة الدينية :

إن عملية الخلط بين المجالين الدينى والسياسى تكاد تكون مسالة حتمية بالنسبة للصهاينة ، فالصهيونية كانت - فى البدء تنفقر إلى الجماهير وكانت الجماهير اليهودية - وبخاصة فى شرق أوروبا عميقة الإيمان بالدين ، ولذا لجأت الصهيونية إلى تبنى الرموز والأفكار الدينية المألوفة لدى الجماهير ، وحولتها إلى رموز وأفكار قومية . وقد وجد مؤسسو الحركة الصهيونية أن الصياغة شبه الدينية للبرنامج الصهيونى ستجعله محل قبول من الجميع ، خصوصا أن التركيب الاجتماعى والعرقى والحضارى والثقافى لليهود أوروبا كان - ولا يزال - مركبا فكان هناك يهود مندمجون ويهود منبوذون ، ويهود أثرياء وآخرون فقراء ويهود متدينون وآخرون ملحدون ويهود إصلاحيون وآخرون أرثوذكس وهناك من كان يود الهجرة من

(٢٤) على ، التربية اليهودية الصهيونية ، المقدمة .

وطنه وآخرون يؤثرون البقاء فيه ، ولم يكن من الممكن تجنيد كل هؤلاء تحت لواء الأيديولوجية الصهيونية إلا عن طريق الإبقاء على أعلى مستوى من التجريد والإيهام وعدم التحدد الذى يسمح بكثير من التفسيرات أو المضامين المختلفة ، الدينية واللا دينية التى تدخل على البنية الفكرية دون أن تغير أو تعدل فيها بشكل جوهري (٢٤) .

وقد تنبه كثير من الصهاينة لهذا الجانب فى الأيديولوجية الصهيونية فالحاخام "لانداو" يشير إلى أن البرنامج الصهيونى يدور حول فكرة واحدة " وكل القيم الأخرى إن هى إلا أداة فى هذا المنطلق ، الأمة " . والمتتبع لكتابات كبار المفكرين الصهاينة ، يلمس بوضوح كيف ضرب هؤلاء على وتر الدين ، فـ " مايربار ايلان " - مثلاً - يؤكد أنه ليس هناك بديل عن التوراة كوسيلة يمكن أن تنتج فى جمع وتوحيد جميع مذاهب وفئات اليهود فى دولة واحدة (٢٥) ، ويسير " يحييل ميخائيل بينس " فى الاتجاه نفسه فينبه إلى أن القومية التى يمثلها ، هى تلك القومية التى روحها التوراة ، حياتها مستمدة من تعاليم التوراة وكذلك من وصاياها (٢٦) .

وقد وقف الحاخام " شلومو شوفوف " من الولايات المتحدة الأمريكية فى المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين ينتقد التعليم القائم فى إسرائيل ووجه النقد عنده ، أن هذا التعليم علمانى " وليس هو التربية التقليدية اليهودية ، وهو خطر كبير ، لأن اليهود لا يستطيعون أن يضمّنوا به استمرار الكيان الإسرائيلى " ، وهو يشير إلى أن اليهود كان لهم مفهوم خاص عن جوهر التربية وأهدافها ، إن فكرة التربية لدى اليهود تختلف عما كان لليونان فى العهد القديم ، وللرومان وللشعوب الأخرى خلال التاريخ ، لقد ربى اليونان والرومان أبناءهم أيضاً تربية جسمانية ليستطيعوا ركوب الخيل ، ( وكذلك بناتهم ) وتحمل الشدائد والرّقص ، أى أن التركيز كان على الناحية الجسمانية ، وهذه الناحية لم يكن لها مكان مهم فى التربية اليهودية على الرغم من إيمانهم بالصحة الجسمانية والاحتفاظ بعظام الموتى (٢٧) .

تلك هى صورة من صور التحدى الإسرائيلى ... فماذا يجب علينا إذن أن نفعل تجاه هذا ؟ هل يمكن أن نتردد لحظة واحدة فى العمل بكل ما نستطيع على تشبيح تعليمنا بعقيدتنا الدينية ، إسلامية كانت أم مسيحية ؟ إننا ندرك بطبيعة الحال أننا يجب أن نستلم عقيدتنا الدينية بغض النظر عن الصهيونية وغيرها - إذ لو لم تكن الصهيونية ، فلا بد أيضاً من أن نسير على

(٢٤) المسيرى : الأيديولوجية الصهيونية : دراسة حثة فى علم الاجتماع المعرفة ، القسم ١ ، ص ٢٢٦ .

(٢٥) على : المصدر نفسه : ص ٤٩ .

(٢٦) أسعد زروق : قضايا الدين والمجتمع فى إسرائيل ( القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧١ ) ، ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(٢٧) على : المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

الطريق الدينى القويم - لكننا نقول هنا : إننا إضافة إلى هذا الواجب الأصلى ، فلا بد من زيادة الجرعة لأن التحدى القائم يستغل المشاعر الدينية فى سبيل تحقيق أهدافه السياسية . ولعله من المفيد فى هذا المقام ، أن نسوق مثالا واحدا يتعلق بقطر عربى عزيز هو الجزائر لنرى كيف أن الجهود الوطنية التعليمية فيه فى عهد الاحتلال الفرنسى بتمسكه بالأسس الدينية الإسلامية وتربية المواطنين الجزائريين على هدى قيمها ، قد مكنته من المحافظة على عروبة الجزائر وإضافة قوة لا يستهان بها إلى القوة العربية .

لقد كانت مقاومة جمعية العلماء لأهداف الاحتلال الفرنسى ضد الإسلام ، تتمثل فيما أنشأته من مدارس ومساجد ونواد لنشر التعليم العربى الدينى ، وبعث الثقافة العربية الإسلامية ، ومقاومة جهود المنظمات التبشيرية الرامية إلى القضاء على الإسلام ، لأن الفرنسيين كانوا يعتقدون أن ( القرآن ) هو سبب السخط الشعبى العام عليهم فى الجزائر . وقد أكد أحد النواب فى البرلمان الفرنسى أن ( القرآن ) هو الذى يحرض المسلمين " الجزائريين " على ( اذائة ) الفرنسى ، ومن هنا قرروا القضاء على وجود القرآن والدين الذى جاء به (٢٩) .

ومن حسن الحظ أن استراتيجية التربية العربية قد تنبتهت إلى هذا المبدأ المهم فأولتته عناية واضحة ، إذ نادت بضرورة أن تكون التربية العربية قائمة على ( التربية للإيمان ) ويشمل هذا المبدأ بين دلالاته ما يأتى (٣٠) :-

- عناية التربية بترسيخ الإيمان بالله فى نفوس المتعلمين ، وبالإسلام خاتم رسالات السماء ، وبالديانات الأخرى لأتباعها من أهل الكتاب ، واعتبار الدين من أخص ما يتميز به الإنسان .

- عناية التربية بما أقره الدين من مكانة الإنسان فى الوجود وفى المجتمع ، ومن اعتماده على هدى عقله وهدى ضميره فى سعيه المتواصل نحو الكمال .

- عناية التربية بتحقيق التوازن فى شخصية الإنسان من حيث حاجات الجسم وحاجات الروح والفكر والعمل والحاضر والمستقبل .

- عناية التربية بما أقره الدين من القيم الإنسانية ، وتنشئة المتعلمين على الأخلاق الفاضلة ، وعلى المحبة والتعاون ، والسعى فى خير المجتمع ، ومن أجل تماسكه وقوته وتمكينه من البناء والتعمير .

- عناية التربية بالإخاء الإنسانى وبالذعوة إلى التعاون بين الناس على الحق والخير والصلاح .

(٢٩) تركى رايح : التعليم القومى والشخصية الوطنية ( الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٥ ) ، ص ٢٢٨ .

(٣٠) الشريف وآخرون : استراتيجية تطوير التربية العربية ، ص ٢٢٧ .

ومن الاعتبارات الأساسية التي تسند هذا المبدأ ما يأتي :-

- الحاجة الأصلية في النفس الإنسانية إلى العقيدة الدينية ، واعتبار أن الإيمان لازم في حياة الإنسان ، ومصدر للقوة والأطمئنان ، مما تؤكد دراسات نفسية وفلسفية ، ودراسات في تاريخ الحضارات وتطورها .

- ما تشكو منه الحضارة المعاصرة من المساويء والعيوب الناتجة عن ضعف التمسك بالقيم الإنسانية وبفضائل الأخلاق ، ومن بعض التبذل والتحلل والانتعاس في الشهوات مما يصدر في الغالب من ضعف في العقيدة الدينية ونقص النوازع إلى الإيمان .

- ما يشكو منه المجتمع العربي من بعض مظاهر الضعف الأخلاقي وبعض مظاهر الضعف في الروح المعنوية ، مما قد ينسب بعضه إلى التهاون في أمور الدين والتقصير في القيام بما يحض عليه من الإخاء والتماسك الاجتماعي ، ومن مكارم الأخلاق .

كذلك فإن المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب ( ١٩٦٨ ) أكد على هذا الجانب ، إذ قال : " تقوم التربية الدينية بدور بالغ الأهمية في المرحلة الثانوية خاصة في هذا العصر الذي يتعرض فيه الشباب لكثير من التيارات الإلحادية والانحرافات السلوكية ، يقعون فريسة للتضليل والدعاية الأجنبية الدخيلة على ثقافتنا العربية .

فالتربية الدينية هي القوة التي لها أثرها الفعال في حياة الطالب والمجتمع ، وهي السبيل الذي يحمي من الزلل ويصون من الانحراف ، وبها تتفتح معالم الحق والفضيلة ويفهم معنى الخير والشر ، ويقوى إيمان الطالب ، وينمو وعيه الديني والاجتماعي ويقدر الحق والواجب ويثق بنفسه ووطنه ويبلغ منه الوازع الديني والإرهاق الروحي مما يحمله على التضحية في سبيل العقيدة الإسلامية الخالصة والوطن العربي ، وتقوى في نفسه الفضائل الحماسية التي تشبع رغائبه كالجدة ، والإباء ، والجهاد ، ومناهضة الاستعمار والإلحاد والصهيونية " (١١) .

## ٢- القومية :

في عام ١٨٨١ ، وضع أحد اليهود الألمان واسمه " ليوبنسكر " كتاباً أسماه التحرر الذاتي وقد صور فيه ما كان يعيشه يهود أوروبا من حياة ملؤها المنلة والاضطهاد ، فهو يقول على سبيل المثال : " نحن لا نعد أمة بين الأمم الأخرى . ليس لنا صوت بين الشعوب حتى في الأعمال التي تخصنا فأرض أبائنا أرض أجنبية عنا ، ووجدتنا تشرذ ، وتضامنا عدو لنا ،

(١١) جامعة الدول العربية : الإدارة الثقافية ، المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب ( الكويت : [ الإدارة ] ، ١٩٦٨ ) ، ص ٦٤ .

وسلاحنا إذلال ، ودفاعنا هروب ، وابتكارنا تقليد غيرنا ، ومستقبلنا لا يعدو غدنا ، أى دور  
ذليل يقوم به شعب كان له ذات يوم أبطال من المكابيين " (٤٢) .

وكان ينسكرك هذا نموذجا لليهودى الوطنى المنصهر ، من أعضاء البرجوازية  
اليهودية فى روسيا . وكان هذا الكتاب بمثابة دعوة منه لأغنياء اليهود فى أوروبا الغربية لتوحيد  
مشروعات الاستيطان اليهودية وضرورة إيجاد " هيئة إدارية يهودية " تتفق على اختيار منطقة  
يستوطنها اليهود المهاجرون ...

هذه النزعة " القومية " ، بلغت ذروتها على يد " هرتزل " الذى عبر عن فكرته لقوله :  
" إن مشكلة اليهود ليست دينية واجتماعية ، بل هى مشكلة قومية . ومن المحتم أن تجد حلا  
قوميا لجماعير اليهود التى لا ترغب فى الاندماج ، أو لا تستطيعه ... إن إعادة الشعب اليهودى  
إلى أرضه ودولته هى وحدها التى تجعله واقفا على قدم المساواة مع الشعوب الأخرى وتضع  
حدا نهائيا لشتات اليهود " (٤٣) .

ومن هنا نجد أن الدولة الصهيونية الحالية تصر على أنها ليست قاصرة على  
مواطنيها فحسب وإنما هى دولة للشعب اليهودى بأسره داخل حدودها وخارجها ، ومما له دلالاته  
أن بيان إعلان قيام الدولة الصهيونية ( عام ١٩٤٨ ) قد تم عن طريق مجلس قومى يتحدث باسم  
كل اليهود سواء فى فلسطين أم خارجها . وبين غريون نفسه - فى عدد آب/أغسطس ١٩٦٢  
من جويش فرنثير - وصف إسرائيل بأنها " دولة الشعب اليهودى كله " (٤٤) .

وقد أصدرت الدولة الصهيونية قوانين كثيرة وأقامت هيئات مختلفة بهدف ترجمة  
مفهوم الشعب اليهودى إلى واقع قائم . ومن أهم هذه القوانين قانون العودة الذى يمنح جميع  
اليهود حق مغادرة مسقط رأسهم و " العودة " إلى وطنهم القومى . وتعمل المنظمة اليهودية  
العالمية على تكريس الوحدة اليهودية دون أى مراعاة للحدود الوطنية للدول المختلفة . ويحدد  
" ميثاق " المنظمة مهمتها بأنها " لم شمل المنفيين فى أرض إسرائيل التاريخية ، وتدعيم وحدة  
الشعب اليهودى " .

ولقد أكد " ماير بار ايلان " أن التقليد والدين بالنسبة لليهود ، هما كاللغة والأدب  
بالنسبة لغيرهم : " وإذا كان الأمريكيون على حق عندما يقولون إذ شب أطفالهم دون معرفة  
اللغة الإنكليزية ، يتوقفون عن حب شعبهم ، ويفقدون الرغبة فى الدفاع عن بلادهم ، فنحن أيضا

(٤٢) ان سعد : " ملاحظات أولية حول أيدولوجية الصهيونية من حيث نشأتها وأصولها المجتمعية " ، شئون فلسطينية ( آب / أغسطس  
١٩٧٠ ) ، ص ١١ .

(٤٣) ألن تيلور : تاريخ الحركة الصهيونية ، ترجمة بسام أبو غزالة ( بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٦ ) ، ص ١٦ .

(٤٤) السبرى ، الأيدولوجية الصهيونية : دراسة حالة فى علم اجتماع المعرفة ، القسم ٢ ، ص ٧ .

على حق فيما يتعلق بديننا وتراثنا لكي لا يشب أطفالنا وهم خالون من الشعور القومي والديني ، فيقطعوا الصلة التي تربطهم بالحياة اليهودية وينظرون إلى أرض إسرائيل كبلد لا يختلف عن الأعيان .<sup>(١٤)</sup> .

هذا إذن مظهر آخر من مظاهر التحدى الإسرائيلي الذي يقتضى منا النظر بعين الاعتبار فى أهمية تأكيد الروح القومية فى تعليمنا ، وبخاصة عن طريق المناهج الدراسية ، دون أى خوف - مما يظن البعض خطأ - من تعارض بين الدعوة إلى القومية العربية والتشبيث بالنزعة الدينية الإسلامية . ونحب فى هذا المقام أن نسوق عددا من الأسس التى ينبغى أن تراعى فى مناهج التعليم فى الوطن العربى خدمة للأهداف العربية فى مقاومة التحدى الصهيونى :

- تقوم المناهج على أساس دراسة الواقع العربى من النواحي الطبيعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية وغيرها ، وإيراز وحدة الأمة العربية كواقع وكهدف ووسيلة فى العصر الحديث ، وذلك كأساس لقيام دولة عربية كبرى ، ذات أثر فعال فى تقدم العرب ومنعتها ، وحسن مساهمتهم فى السياسة والحضارة العالميتين .

- التراث العربى الإسلامى من أبرز مقومات القومية العربية لإسهامه فى بناء الحضارة الإنسانية ولذا وجهت العناية بتاريخ هذا التراث وإحياء قيمه الإنسانية فى جوانبه المتعددة كالدين واللغة العربية والتاريخ العربى والعلوم الطبيعية والتجريبية والفنون والفلسفة ، كما وجب حسن الاصطفاء من هذا التراث وربط السياسة بالمستوى الثقافى العالمى فى ميادين الفكر والعلم والفن ليتم التفاعل بين الفكر العربى والفكر العالمى المعاصر .

- أن تكون اللغة العربية الفصيحة لغة التدريس لجميع موالد المناهج المدرسية فى مختلف المراحل ، وأن تستقيم على أسنة التلاميذ والمعلمين نطقا وكتابة ، وأن يتعمق الإيمان بدورها الكبير فى حفظ التراث الحضارى والوجود القومى ، وأن تبرز خصائصها على استيعاب العلوم والمعارف مهما تشبعت أو اتسعت .

- العناية بتدريس التاريخ العربى والإسلامى وما يشتمل عليه من سير ونظم واتجاهات دراسة تحليلية تبرز البطولة العربية والفضائل العربية ودور العرب فى الأحداث الإنسانية الكبرى ، وتوضح سياسة العرب فى القضايا العالمية القومية ، على أن ينظر إليه من زاوية إسهام الشعب والفرد فيه معاً ، يمثل خطا حضاريا واعيا فى مجرى التاريخ الإنسانى .

<sup>(١٤)</sup> ماير بلر ايلان : " أى نوع من الحياة علينا أن نخلق فى إسرائيل " فى : الفكرة الصهيونية ، النصوص الأساسية ، ص ٤٤ .

- الاهتمام بجغرافية الوطن العربي وبيان التشابه الطبيعي والمناخى والجيولوجى بين أجزائه ، وكذلك بتكامل الثروات الحيوانية والنباتية والمعدنية والنفطية والمصالح الاقتصادية والخبرة البشرية فيه .

- تقوية إرادة الناشئة وحفزها على النضال للقضاء على عوامل التفسخ والتجزئة ، ومحاربة الدعوات الإقليمية والقبلية والطائفية والعشائرية ، وصهرها فى بوتقة القومية العربية ، والعمل على إقامة كيان سياسى عربى موحد ، ومحاربة الاستعمار بكل أشكاله القديمة والحديثة ، ومحاربة الصهيونية ، وتحرير فلسطين ، واسترداد الأجزاء المغتصبة من الوطن العربى ، ومحاربة الاتجاهات الانفصالية فيه .

- أن تكون تربية المواطن العربى تربية قومية تعتمد على فهمها فهما صحيحا لحقيقة العدو وأوضاعه وأطماعه ومخططاته ، والدور الذى يقوم به فى المنطقة العربية ، وما يجب أن يأخذ المواطن العربى به نفسه لمواجهة هذا الخطر . وما يقتضى أن تشمل المناهج عامة والمواد الاجتماعية بخاصة موضوعات تتعلق بحقيقة الخطر وأبعاده ليعيد المواطن العربى نفسه على أساس من الواقع والعلم .

وقد تبينت استراتيجية تطوير التربية العربية المبدأ القومى فى التربية ، مؤكدة أنه

يشمل بين دلالاته<sup>(١٦)</sup> :

- أن التربية ذات وظيفة اجتماعية تتفاعل مع مجتمعها تأثراً به وتأثيراً فيه وتعمل على خيره وتقدمه .

- إن التربية ذات انتماء قومى تتأثر بالخصائص الحضارية فى مجتمعها وعليها أن تتمثلها وتتنوعها فى خير صورها ، وأن تعمل على تطويرها ، فتمعق الوعى بها بالمساهمة فى تحقيق أهدافها ، ويصدق ذلك على التربية العربية الخاصة .

- إن من أهداف التربية ووظائفها إعداد المواطن الملتزم نحو مجتمعها ، المتمثل لشخصيته القومية فى نقائها وصفاتها ، العامل على الوفاء بمطالبها .

- إن الولاء للمجتمعات المحلية والقطرية ، إنما يكون على خير حالاته إذا كان فى إطار قومى شامل ، فلا تنشأ التناقضات بينهما ، وإنما يتكاملان فى وحدة قائمة على التنوع .

- إن العمل التربوى ذو أبعاد قومية ، وإنما يكون على خير حالاته من الكفاية والجدوى حينما يقوم على أساس جهود قومية شاملة تعتمد على التعاون والتكافل .

(١٦) الشريف وآخرون : استراتيجية تطوير التربية العربية ، ص ١١٨ .

- إن تفاعل الشعوب بعضها مع بعض وتعاونها في سبيل السلام القائم على العدل لا يعنى ذوبان قوميتها وإضعافها ، بل يعنى تعزيزها وإتاحة فرص أرحب أمامها للنمو والإسهام في تطوير الحضارة الإنسانية بما تملك من خصائص مميزة وقيدرات خلقة . وللترتيبية نور كبير في تحقيق متضمنات هذا التفاعل في شخصية المواطن العربى ، فهو إذ يلتزم بأهداف أمته ومصالحها ، يعى مطالب الإنسانية والمصالح المشتركة ، وفى تأكيد الجوانب الإنسانية فى القومية فكرا وتطبيقاً مما يحقق ذلك .

إن المهمات القومية للتربية العربية من الضخامة والأهمية بحيث يتعذر تحقيقها بصورة مجزأة وعلى النطاق القطرى ، فهى تستدعى العمل العربى الموحد ويزيد من إلحاح الحاجة إلى ذلك ، تباين المستويات فى الأنظمة التربوية العربية ، وتباين الإمكانيات المتوافرة سواء من حيث الكفاءات أم من حيث الموارد المالية .

### ٣- التنمية .

لقد روج الاستعمار طويلاً لفكرة التفوق العنصرى ، وكان بهذا يضع مبرراً أساسياً لصرفنا عن الأخذ بأسباب التقدم . من وجهة نظره ، كان هذا أمراً معقولاً ومقبولاً ، ولكن مما يؤسف حقاً أن بعضاً من أبناء شعوبنا قد صدق تلك المزاعم وروج لها زمناً غير قصير . ولقد كان منطلق أصحاب تلك الشعار سقيماً ، ولم يكن له من دعامة غير سلاح القوة والبطش ورداء العلم المزيف . برروا التخلف بالتخلف ، أى أنهم فسروا التخلف الحضارى للشعوب المستعمرة بالتخلف فى القدرات العقلية ، وحصرها أدلتهم فى نطاق ضيق جداً من التاريخ البشرى ، وفى نطاق أضيق كثيراً من حياة البشر على الأرض . ولكن التاريخ الإنسانى - وما قبل التاريخ - أرحب من تلك الحقيقة القصيرة ، وحجته أقوى . لقد كان كثير من المجتمعات النامية اليوم فى القمة الحضارية عندما كانت البلاد المتقدمة اليوم فى غاية التخلف ، ولعل أوضح الأمثلة على ذلك هو مجتمع الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام<sup>(١٧)</sup> .

ومن المؤكد أن الوطن العربى يستحيل عليه أن يواجه صور التحدى الإسرائيلى المختلفة إذا لم يستطع أن يتجاوز حالة التخلف التى تشيع بوضوح فى كثير من أقطاره وفى كثير من جوانبه ، ومن أخطر الأمور أن نتصور أن مجرد " اليسر المالى " يعنى حدوث التنمية ، أو حتى النمو . إن المطلوب هو تنمية القدرات العربية الذاتية ، فهى وحدها السبيل إلى إيجاد القرار العربى الذاتى .

(١٧) سعيد إسماعيل على وزينب حسن : دراسات فى اجتماعات التربية ( القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ ) ، الفصل

الخاص بـ : من التخلف إلى التبعية .

وفى إطار التجارب التى مرت بين الأقطار العربية خلال العقدين الماضين ، بوزت منطلقات جديدة لتصحيح مسيرة التنمية العربية واستراتيجيتها ، كما برزت لكثير من دول العالم الثالث بصورة تتفاوت مع ظروفها المحلية وبيئاتها الحضارية ، وأهم هذه المنطلقات للتنمية العربية المنشودة<sup>(١٨)</sup>:

أ- إن كسر حلقة التخلف وإحداث تنمية حقيقية شاملة لا يتأتى من خلال إقامة مشروعات هنا وهناك ، وإنما تقوم على تصور مستقبلى لتجديد حضارى متكامل لمقومات الحيوية فى مكونات هذا الوطن وفى تفاعل موارده الطبيعية والمادية والبشرية ، ولن يتأسس هذا الانبعاث الحضارى إلا على ركيزة الأصالة المتجددة ، والهوية الواضحة للوطن العربى فى الحضارة المعاصرة وتياراتها المتدافعة ، وهذا المنطلق يختلف عن اتجاه " التحديث " الذى يستمد مكونات نموه من اتباع أنماط حضارية أخرى ذات أصول وتصورات يختلف عن مثيلاتها فى الواقع العربى اختلافا نوعيا .

ب- إن محور هذا التجديد الحضارى هو التركيز على تنمية البشر وما يتاح لهم من مجالات لإشباع احتياجاتهم المادية والمعنوية والروحية ، وما يتاح لهم من مصادر المعرفة والخبرة والدراية لتكوين القاعدة العلمية التكنولوجية ، وما يقوم به المجتمع من تنظيمات تربط بينهم من علاقات ترسخ عوامل الانتماء ، توفير مقومات العدالة الاجتماعية بما يحقق تكافؤ الفرص فى الاستمتاع بثمرات الرفاه الاجتماعى ، وفى تحمل المسؤوليات والأعباء والتضحيات ، ركيزة أساسية فى إرساء النظام الاجتماعى الكفء .

ج- إفساح المجال للطاقت المبدعة الخلاقة فى مختلف نشاطات الفكر والجهد الإنسانى وتشجيعها للإسهام فى تطوير الحياة على الأرض العربية ، ويرتبط بهذا فتح باب الاجتهاد على مصراعيه دون تخوف من التجريب والتجديد الذى يستهدف تحريك الواقع فى مختلف مؤسساته وصيغته ، دون استسلام للمألوف والتعصب له ، كما يرتبط بذلك التحرر من عقد الاتباع لما تعلمناه أو نعلمه ، مما هو مستمد من معارف وخبرات الدول الصناعية المتقدمة وبخاصة فى مجال العلوم الاجتماعية ، اقتصاداً واجتماعاً وتربوية وتخطيطاً ، إلى غير ذلك من مجالات هذه العلوم ، ذلك أن معظم قوانينها مستمدة من خبرة مجتمعات لا تتماثل حضارياً ، ولا يمكن أن تكرر تجربتها

<sup>(١٨)</sup> حامد عمار : دور التعليم العالى فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية . فى : جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التعليم العالى والتنمية فى الوطن العربى ( تونس : [ المنظمة ] ، ١٩٨١ ، ص ٩٠ .

فى ظروفنا . وينطبق هذا على مجال التكنولوجيا وتطبيقاتها حيث يقتضى الأمر اختيار التكنولوجيا المناسبة وتطويرها لمقتضيات التنمية العربية وأبعادها .

د- قيام التنمية فى قاعدتها الأساسية على الموارد والطاقات الذاتية بما يضمن إطراد معدلاتها وآثارها دون انتكاسات أو اختناقات نتيجة الاعتماد على الموارد الأجنبية ، هذا يعنى تحرر مسالك التنمية من الضغوط الخارجية . وحين نتحدث عن التنمية الذاتية والاعتماد على النفس واتساقها ، وهو ما يعرف فى أدبيات التنمية فى العالم الثالث باسم الاعتماد الاجتماعى على النفس ، فهذا يرسب فى قيم المجتمعات العربية ثقة فى جهودها ومحاولاتها الواعية وتقويمها الذاتى لنشاطها البشرى دون عقد المقارنة أو اختلاف الحلول مع المجتمعات الصناعية المتقدمة . وحتى يمكن للتعليم العام فى البلدان العربية أن يقوم بدوره المأمول فيه بالنسبة للتنمية بهذا المنظور الحضارى فلا بد مما يلى <sup>(١٩)</sup> :

- ضرورة تحديد أهداف التخطيط التربوى فى ضوء أهداف خطط التنمية الشاملة على أساس ما تستهدفه من معدلات فى زيادة الإنتاج فى مختلف قطاعات النشاط الاقتصادى ، وما تضعه من أهداف فى مجال الخدمات ، وحجم العمالة وتوزيع الدخول .

- التقدير لاحتياجات المجتمع من القوى العاملة المدرجة على أساس التنبؤ بهذه الاحتياجات فى المدى القريب والبعيد ، من حيث تحديد أنواع المهارات المطلوبة ومستوياتها فى الهيكل الوظيفى ، وترجمة هذه المطالب إلى مستويات تعليمية وتوزيع لإعداد المتعلمين .

- ضرورة مواجهة مسؤولية توفير الفرص التعليمية للأعداد المتزايدة من الأطفال فى سن الإلزام بحيث تبلغ مستوى الدول التى قطعت شوطاً كبيراً لتحقيق هذه الغاية المتزايدة من الاستيعاب ، فى أسرع وقت ممكن . أما الدول التى لن يتحقق لها ذلك عاجلاً ، فينبغى أن تبذل جميع الجهود الممكنة لتحقيق هذه الغاية .

- إتاحة المزيد من الفرص المتكاملة لتعليم البنات وبخاصة فى المرحلة الأولى ، وتوفير جميع الحوافز الإيجابية التى تدفعها إلى الحرص على الاستمرار فى التعليم . وإذا كانت الفرص المتكافئة لتعليم البنين والبنات فى المرحلة الأولى ضرورة تستحق

(١٩) جامعة الدول العربية : الإدارة الثقافية ، المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب ، ص ١٤٠ .

أولوية فى المخططات التربوية ، فإن هذا التكافؤ قاعدة ينبغى أن تطبق فى مراحل التعليم الأخرى ، قدر ما تسمح به الظروف .

- ضرورة اشتغال الخطة على توفير فرص الرعاية التربوية للأطفال قبل سن الإلزام وفاء بحاجات الطفولة وتيسيراً للمرأة العاملة ، وكذا العناية فى التخطيط لغير الأسوياء .

- العناية بتنظيم هياكل التعليم وأنواعه ومناهجه بحيث تتوافر الأعداد التى تتطلبها مجالات النشاط الاقتصادى والاجتماعى من أصحاب المهارات الفنية المتوسطة ، وضروة إيجاد الحوافز المادية والاجتماعية التى تضمن إقبال الطلاب واستمرارهم فى هذا النوع من الدراسة .

- مراعاة حركة الهجرة السكانية من الريف إلى المدينة وقيام التجمعات السكانية ، الجديدة فى توفير وتوزيع الخدمات التعليمية اللازمة لهذه الفئات من السكان . وفى حالة البدو الرحل ، تبذل الجهود لاستكشاف الوسائل التعليمية المناسبة لتعليمهم حتى يتم توطينهم بصورة نهائية .

- الاستمرار فى دفع الاتجاه نحو التوسع فى التعليم العلمى والتكنولوجى فى مختلف مستويات التعليم اللاحق للمرحلة الإلزامية ، على ألا يودى ذلك إلى التهور من شأن الدراسات النظرية .

- تقرير الجوانب العملية وخبرات العمل الحية ، المستمدة من مناسط الزراعة والصناعة والحرف كجزء أساسى من مناهج التعليم فى جميع مراحلها .

- ضرورة الالتفات إلى أن الأخذ بمنهج تخطيط التربية على أساس من سد احتياجات المجتمع من القوى العاملة ذات المهارات المعينة ، ليس معناه استغراق جميع أهداف التخطيط التربوى الذى ينبغى أن يلتفت فى الوقت نفسه إلى تكوين المواطن والإنسان .

- وجوب إضافة مواقع العمل الفعلية فى الصناعة والزراعة والتجارة والخدمات إلى المصادر المألوفة من المدارس والمعاهد والكليات باعتبار مواقع العمل مجالات للتعليم والتدريب ، وأن توافر خبرات حية قد يودى توفيرها فى المدرسة كثيراً من الجهد والمال .

#### ٤ - العلمية

العلم والتكنولوجيا هما من العوامل التى يشار إليها من حيث أهميتها مراراً فى الصراع العربى - الإسرائيلى ، فللعلم والتكنولوجيا على سبيل المثال تأثير واضح على أوجه

العمليات العسكرية كافة ، من انتقاء الأعداء إلى صيانتها واستعمالها . وهناك مثال بارز لاستعمال التكنولوجيا في المجال الإستراتيجي والتكتيكي في الحروب ، وهو استخدام المصريين للماء في جرف طبقات الرمال الواقية على خط بارليف في حرب تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣<sup>(٤٠)</sup>.

ومن الواضح أيضاً أن للعلم والتكنولوجيا اتصالاً مباشراً بالإنتاج الصناعي ، وفي العقود الثلاثة الأخيرة ازداد الإنتاج الصناعي في البلاد العربية وإسرائيل ، لكن هناك فارقاً واضحاً بين إنتاج صناعي يعتمد على مشاريع منجزة وبين إنتاج ينبع من قدرات تقنية محلية . وإذا كانت إسرائيل تعتمد - كما هو معروف - على الولايات المتحدة الأمريكية في مجالى الأسلحة والدعم المالي ، لكن النقطة الأهم ليست مدى استقلالية إسرائيل عن الولايات المتحدة الأمريكية ، وإنما قدرة إسرائيل على استيعاب الأعداء العسكرية واستعمالها بشكل فعال .

" ولا جدال أن الأقطار العربية تحصل على أسلحة شرقية وغربية ، ولكن النقص هو التخصص العالي والتقنى الذي يسمح بتكثيف هذه المعدات وتغييرها لكي تتماشى مع أنظمة عسكرية جديدة . وقد قال مرة أحد وزراء الدفاع العرب أن سلاح بلده الجوى لا يمتلك القدرة التقنية على تغيير نظام الإشارات صديق / عدو على متن الطائرات المقاتلة<sup>(٤١)</sup> . "

إن هذه الحقائق لا بد أن تستحث خطانا نحو التنفيذ الفعلي لمبدأ التربية للعلم ، فهو على الرغم من تبنى استراتيجية تطوير التربية العربية له وإبرازه ، إلا أنه ما يزال إلى حد كبير حبيس الصفحات التي كتب عليها ، وأسير العبارات الجميلة التي كتب بها . إن هذا المبدأ يشمل بين دلالته<sup>(٤٢)</sup> :

- أن تعنى التربية بتروسيخ العلم في المتعلمين منهاجاً ومحتوى ، فكراً وتطبيقاً وبالتالي أن تجعله جانباً من الثقافة العامة وأساساً للحياة وللتنمية الشاملة في الوطن العربي .
- أن تسهم التربية في تطوير البحث العلمي وفي تمكين مؤسساته ومؤسسات التعليم والعلماء العرب عامة من المشاركة الفعالة في الثورة العلمية استيعاباً لمنجزاتها وإسهاماً في إغنائها وفي ربطها بخير الإنسان على المستوى القومي والعالمى .
- أن تسهم التربية ذاتها في الوطن العربي ، في إرساء أسس التقنية باعتبارها تطبيقاً للعلم في مجالات الحياة ، وفي توفير مقومات تطويرها وتكيفها لمطالب التنمية الشاملة ، فتكون ذات صبغة قومية في أهدافها ومحتواها وفي العاملين عليها .

<sup>(٤٠)</sup> انطوان زحلان : العلم والتكنولوجيا في الصراع العربي الإسرائيلي ، سلسلة أوراق مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٦ ( بيروت :

مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٨١ ) ، ص ٥ .

<sup>(٤١)</sup> المصدر نفسه : ص ٩ .

<sup>(٤٢)</sup> الشريف وآخرون : استراتيجية تطوير التربية العربية ، ص ١٢٢ .

- أن تستند التربية في ذاتها في الوطن العربي ، إلى أسس علمية مستوعبة لمنهجية العلوم الأساسية لها ولنتائجها ، مسهمة في تطويرها ، متكيفة للأحوال والحاجات القومية ، لتسهّم هذه الجهود العلمية مع التحليل الفلسفي في إنشاء فكر تربوي متميز . ومن الاعتبارات الأساسية التي يستند إليها هذا المبدأ ما يأتي :

- ما تولد عن الثورة العلمية في التطبيق من الثورة التقنية تجلت في الصناعة والزراعة ، وفي وسائل النقل والتواصل ، وفي الصحة والتربية ، وغيرها من مجالات الحياة . وهي ثورة ما تزال تتزايد وتؤلف مصادر ضخمة للثروة والقوة لمن يملكها ، كما لم تخلُ من آثار سيئة في تطوير أسلحة العدوان والتدمير .

- تطور العلوم الأساسية للتربية ، وبخاصة العلوم السلوكية ، وتطور تطبيقاتها العلمية والتقنية في مهنة التعليم وفي طرائقه وأساليبه ووسائله ، وحاجة التربية العربية إلى متابعة هذا التطور والإسهام فيه والانتفاع منه منهاجاً ومحتوى ، فكراً وتطبيقاً .

- واقع المجتمع العربي وحاجته الملحة في الاعتماد على العلم والتقنية في مواجهة التحديات الضخمة التي تحيط به ، ويتمثل في الصهيونية والاستعمار والتخلف والتجزئة أو في استثمار إمكانياته لتحقيق التنمية الشاملة وما تتطوى عليه من الحياة الكريمة لأبنائه ، وواقع التربية العربية وحاجاتها الملحة إلى اعتماد العلم والتقنية وجعلها أساساً لتطويرها وإغنائها باستمرار .

- حاجة الوطن إلى متابعة الثورة التقنية وأسسها العلمية وإلى تطوير نماذجها الصالحة لحاجات التنمية الشاملة بإرساء أسسها بإعداد المعلمين ، وتكوين الأجهزة الملائمة ، وصياغة المشروعات بمنطلقات قومية ، وجعل جميع الجهود مستندة إلى الكفايات العربية وملائمة لحاجات المجتمع العربي ، وتجنب أخطاء نقل التقنية بصيغتها الجاهزة والاعتماد فيها على التصورات والكفايات الأجنبية<sup>(٥٣)</sup> .

إن قدرة التعليم العالي على السير في هذا الطريق تقتضى ضرورة التخلي عن تلك القسمة بين تعليم عام وتعليم فني ، وتبني صيغة أخرى يتم فيها توحيد النوعين ، وقد صدرت عن اليونسكو توصية بهذا الشأن جاء فيها<sup>(٥٤)</sup> :

أولاً : إن عبارة " التعليم التقني والمهني " يقصد بها - في إطار هذه التوصية - أوسع معانيها وتطلق على جوانب العملية التربوية التي تتضمن ( إضافة إلى التعليم العام )

(٥٣) المصدر نفسه : ص ١٣٣ .

(٥٤) الكويت ، وزارة التربية : إدارة التعليم الفني والمهني ، دراسة حول الدراسات العلمية في مدارس الكويت ، ١٩٧٨ ( ) الكويت : الوزارة | ١٩٧٨٠ ) .

دراسة التقنيات والعلوم المرتبطة بها واكتساب المهارات والاتجاهات وضرورة الفهم والمعارف المتسمة كلها بالطابع العلمى ، فيما يتعلق بالمهن والأعمال فى شتى قطاعات الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

ثانياً : ينبغى أن يكون ( التعليم الفنى والمهنى ) بالمعنى المقصود منها :

أ- سبيلاً للالتحاق بقطاع مهني .

ب- جزءاً لا يتجزأ من التعليم العام .

ت- وجهاً من أوجه التربية المستديمة .

ثالثاً : نظراً لضخامة العمل الجارى أو المرتقب فى مجال التنمية العلمية والتقنية الذى يتميز به العصر الحالى ، فإنه ينبغى للتعليم التقنى والمهنى أن يكون عنصراً أساسياً فى العملية التربوية ، وعليه بصفة خاصة :

أ- أن يسهم فى تحقيق أهداف المجتمع .

ب- أن يقود إلى التعرف على الجوانب العلمية والتقنية للحضارة المعاصرة ، بحيث يتفهم الناس بيئتهم ويقدرّون على التأثير فيها باتخاذ موقف نقدى من المتضمنات الاجتماعية والسياسية للتقدم العلمى والتقنى .

إن الأخذ بهذه التوصية لا بد أن يودى إلى ضرورة تصفية التعليم التقنى والمهنى على مستوى المرحلة الثانوية ، باعتبار أنه لم يعد كافياً لمواجهة متطلبات العصر ، ولأن التعليم العام حتى نهاية المرحلة الثانوية سوف يصبح تعليماً شاملاً يتحقق فيه التكامل بين النظرية والتطبيق ، فلا معنى لبقاء الازدواجية فى هذه المرحلة ، ولخطورة التخصص المبكر ، ونتيجة لما أسفرت عنه تجربة التعليم الفنى على مستوى المرحلة الثانوية من محاذير .

أما مهمة إعداد العمال المهرة وغيرهم ، فإنها تترك لمراكز التدريب المختلفة التابعة لمواقع العمل ، مع ايجاد نوع من التعاون بين هذه المراكز والمعاهد الفنية للاستفادة من إمكانياتها فى تدريب هؤلاء العاملين .

إن هذه المرحلة الجديدة المطلوبة قد تبلورت حول فلسفة التكامل بين التعليم العام والتعليم الفنى والتقنى ، كما أنه قد تبلورت عن ظهور اتجاه قوى نحو نوع من التعليم الشامل الذى تحقق من خلاله الاتجاهات المأمولة<sup>(٤٤)</sup> .

(٤٤) جامعة الدول العربية : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، من كضليا التعليم الفنى فى البلاد العربية ، ( تونس :

[ المنظمة ] ، ١٩٨٠ ، ص ١٤ .

لم يكن هذا الاتجاه مجرد موجة تقبل ثم تتحصر ، أو بدعة تومض ثم تخبو ، وفى كلمة ، لا يمكن أن يكون مجرد اختيار نملك نرف رفضه ، بل كان ضرورة ملحة تملئها ظروف العصر واتجاهاته القوية المتدفقة .

#### ٥- الديمقراطية

فى كلمة لمحمد أحمد محبوب رئيس وزراء السودان الأسبق ، رحمه الله ، قال :  
" أنا حزين على نفسى وعلى العرب ، لقد بدأت الانقلابات العسكرية بتكرار ، وما تزال الحريات فى إجازة ..... إن الرخاء لا يعيش مع الاستبداد والقوة لا تحقق دون رخاء ، وعندما يصبح المواطن عاجزا عن أن يخدم بلده ، فهو بالتالى سيكون عاجزا عن أن يسترد فلسطين " (٤٦) .  
تلك كلمة حق تصور بدقة ذلك الارتباط القوي بين مدى توافر الديمقراطية ، وقدرتنا على مواجهة التحدى الإسرائيلى ، فبعض الحكام حجبوا الحقيقة فى كثير من الأحيان عن شعوبهم زعما بأن ذلك إنما هو لمصلحة القضية الفلسطينية ، وحتى لا يستفيد الإسرائيليون من المعلومات المطلوبة ، وبعضهم غيب العديد من المواطنين داخل السجون والمعتقلات ، ادعاء بأن هذا العمل يبعد أعداء الثورة عن المسيرة الوطنية لاسترداد الحق الفلسطينى ... أكاذيب تلو أكاذيب ، لأن الحقيقة التى لا ينبغى أن تعيب عن الأذهان ، أن كل مواطن يزج به فى السجون والمعتقلات لرأى ساقه أو موقف أبداه ، وكل حقيقة أخفيت عن المواطنين ، إنما هو خطوات إلى الوراء تبعثنا عن مواجهة التحدى ، لأن تلك المواجهة تتطلب قوة ، ولا قوة إلا بالديمقراطية ، المواجهة تتطلب ثقة بالنفس ، وهذه لا تتوافر إلا بالديمقراطية والمواجهة تتطلب السواء ، والولاء لا يتوافر إلا إذا شعر المواطنون أن الوطن وطنهم حقاً ، وسبيل إيجاد هذا الشعور ، هو أن يشاركوا فى حكم البلاد .

إن هذا يتطلب منا البحث عن الدور الذى يجب على التعليم أن يقوم به مساهمة منه فى ترسيخ الروح الديمقراطية فى البلدان العربية ، حيث أن هذه الروح لها أشكالها المتعددة التى تتجاوز الأساليب والأشكال السياسية حتى تصبح طريقة حياة .  
ومن هنا تطرح هذه الأسئلة طلباً للإجابة عنها (٤٧) :

أ- كيف يمكن تسريع نمو التعليم وزيادة فرص الحصول عليه فى الأقطار العربية ليصبح بالفعل تعليماً ديمقراطياً ؟

(٤٦) مجلة الأمة ، قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، العدد ٥١ ( كانون الثانى / يناير ١٩٨٤ ) ، ص ٤٨ .

(٤٧) مكتب اليونسكو الاقليمى للتربية فى البلاد العربية : التربية الجديدة ( بيروت ) ، العدد ١٠ ( كانون الأول / ديسمبر ١٩٧٦ ) ،

ب- ما الأولويات التي ينبغي أن تعطى في المرحلة القادمة في السياسات التعليمية من أجل هدف ديمقراطية التعليم وتسريع تحقيقه؟ ( تعليم الكبار / تعليم الصغار - التعليم الابتدائي / الثانوي / العالى - تعليم المناطق الريفية - تعليم البنات ) ؟  
ت- إذا كانت مشكلة ديمقراطية التعليم تكمن أساساً في القطاعات المحرومة أو الأقل حظاً من التقدم ، فما هي الضمانات و الإجراءات التي يلزم اتخاذها في المرحلة القادمة لتوفير التعليم لسكان هذه القطاعات ؟

ث- إذا كانت ديمقراطية التعليم هي في التحليل النهائي توافر الكفاية الداخلية والخارجية لهذا التعليم ، وإذا كان تكافؤ الفرص التعليمية هو تكافؤ الإنجاز والاستمرار في التعليم بنجاح ، فما الخطوات والضمانات التي يجب اتخاذها من أجل تجميد هذه المعانى في التعليم ؟

ج- ما الصيغ والتقنيات الجديدة التي يجب اتباعها لتسريع نمو التعليم في المناطق الأقل حظاً من التقدم؟ وكيف يمكن تطبيق هذه الصيغ والتقنيات ؟

ح- وهل يمكن تنظيم الجهود العربية المشتركة وتعبئة الإمكانيات العربية المادية لتوفير التعليم لكل مواطن على الأرض العربية؟ وكيف يتم ذلك ؟

خ- ما الضمانات التي ينبغي اتخاذها لجعل ديمقراطية التعليم أداة فعالة في التنمية الاقتصادية الاجتماعية في الأقطار العربية ؟

إن المجتمع القوى هو المجتمع الذي يقوم على أساس المشاركة الإيجابية من جميع أفراد وفئاته وعناصره ، دون تمييز بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة ، من أجل تحقيق أهداف واحدة ومصالحة مشتركة . والمسبيل إلى ذلك الشورى والعمل بما ينظويان عليه من تقدير كرامة الفرد وفكره ومكانته ، ومسؤوليته ، وتقدير مصلحة الجماهير الخير العام .

والديمقراطية بهذا المعنى تؤكد الكفاية كما تؤكد العدالة الاجتماعية ، وأساسها ما يبذله كل فرد حسب استعداده وطاقاته في فرص يتيحها له المجتمع بمؤسساته ، دون عوائق من أجل تحقيق الخير العام فالكفاية والعدل متلازمان في حياة الفرد وفي حياة المجتمع ، بحيث تسقط ما عسى أن يكون من فوارق بين الأفراد والطبقات ، تحقيقاً لبذل الجهود ووفرة الإنتاج وعدالة التوزيع ، والتماسك بين الجميع (٢٨) .

ولو شئنا أن ننطلق إلى أفق أرحب ، فإننا نؤكد أن ( الديمقراطية ) ، بل وكل ما سبق أن ذكرناه ، لا سبيل له أن يؤتى ثماره الحقّة ما لم يتوافر له مناخ عام يكفل له سلامة

(٢٨) الشريف وآخرون : استراتيجية تطوير التربية العربية ، ص ٢٤٨ .

الصحة ، وفرص النمو والازدهار ، ذلك هو ما يسمى بـ ( المجتمع المتعلم ) الذي يتميز بعدد من الخصائص يمكن إجمالها فيما يلي (٥٩) :

- إثبات حق التعليم لجميع المواطنين بلا استثناء حقاً أصيلاً تفرضه جملة من المبادئ الرئيسية مثل الإنساني والإيماني والقومي والتمموي والديمقراطي وغيرها ، وهو حق متصل بمكانة الإنسان في المجتمع واعتماداً على هداية عقله وضميره وسعيه في طلب الكمال . وقد نصت عليه شريعة منظمة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان ( ١٩٤٨ ) ، ونصت عليه دساتير الدول الحديثة وأصبح من مسؤوليات الدولة وواجباً من واجباتها .

- تفسير مبدأ تكافؤ الفرص التربوية أمام الجميع وتوفير المساواة فيها توفيراً يتجاوز مجرد توفير حق الالتحاق بها ، إلى التغلب على الصعوبات والعقبات التي تحول دون بعض الفئات وتعويضهم عما أصابهم من حرمان بسببها ، وكيف التعليم بمحتواه وطرائقه لحاجاتهم وتمكينهم من التخرج من مراحلهم ومن مواصلة التعليم .

- تغيير ملحوظ في مفهوم التربية نفسها يجعل التعلم جوهرها ، ويضمن شمولها وتكاملها واستمرارها في الزمان والمكان . فالتعليم القائم على الجهود الذاتية ، المؤدى إلى تطوير الشخصية من جميع جوانبها الروحية والفكرية والخلقية والجمالية والجسمية ، والمستند إلى قدرة الإنسان على مواصلته غير مقيد بزمان أو مكان ، أساس للمجتمع المتعلم في خير صورته ، ويترتب على هذا المفهوم تغير في طبيعة المؤسسات التربوية وبيئاتها .

- تجاوز التخلف وتحقيق التنمية الشاملة وما تستند إليه من وفرة الإنتاج وعدالة التوزيع والموازنة بين الحقوق والواجبات والمساواة فيما بين جميع المواطنين ، لتحقيق التربية على خير صورها ، في مجالات تفاعلها مع مجتمعاتها ، وليكون المجتمع جميعه مجالاً فسيحاً لها .  
وفيما بعد .....

لقد نال الأمة العربية في تاريخها الحديث والمعاصر كثير من شُرور الاستعمار والصهيونية أسهمت في الضعف والتخلف والتجزئة ، ومن حقها أن تتشد القوة تدفع بها تلك الشرور وتغني آثارها . وما حققته الحركات القومية فيها من التحرر والاستقلال وما يتوافر لها من الإمكانيات المادية والبشرية كفيل أن يوفر لها مصادر متعددة القوة ، وفي قيمتها الإنسانية

(٥٩) المصدر نفسه : ص ١٤١ .

وتراثها الحضارى ما يجعل منها قوة للخير والبناء ، تتخذ من التعليم وتطويره أداة من أدواتها فى هذا السبيل .

وإذا كانت الدراسة الحالية قد أكدت أن القوة لها مظاهرها المتعددة ، فى ديننا ، وفى العلمية ، وفى التنمية ، وفى الديمقراطية ، وفى القومية وغيرها ..... إلخ ، إلا أننا لا ينبغى أن ننسى المعنى المباشر والجزئى والشعبى أيضا للقوة ، وهذه هى القوة البدنية ، قوة الصحة ، وقوة السلاح العسكرى وما يتطلبه من استعدادات .